تهذيب النفس للعلم وبالعلم

تأليف الإمام الحافظ العلامة

جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي

المعروف بابن المبرد

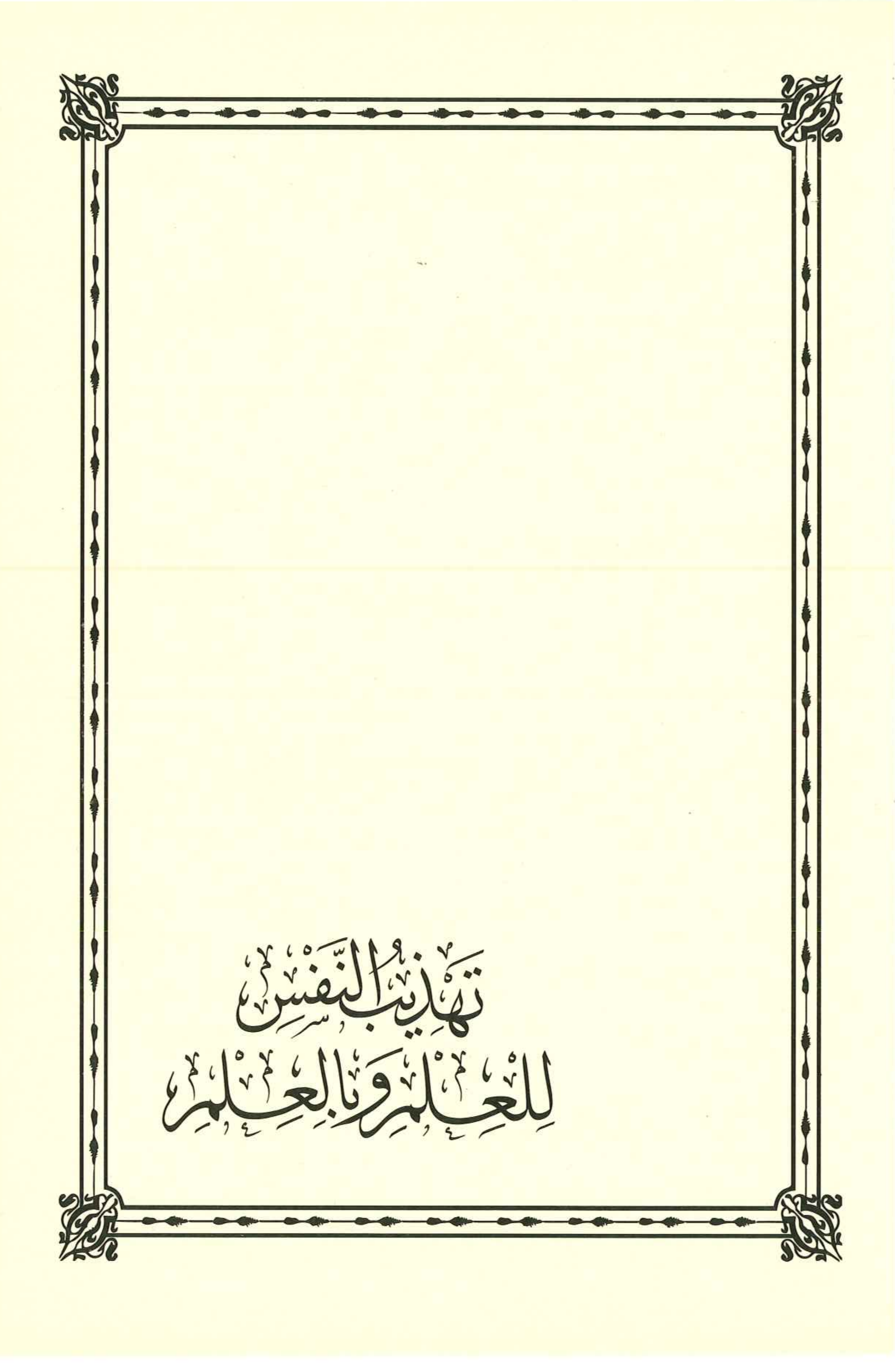
(٨٤١ - ٩٠٩ هـ)

تحقيق

أحمد فتحي البشير

دار الذخائر

إحياء لتراث أمة


تهذيب النفس
للعلم وبالعلم

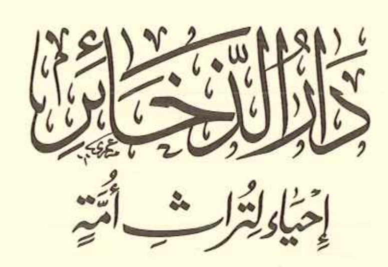


الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع

٢٠١٧/٢٤٦٦



٣٣ شارع الإمام محمد عبده خلف الجامع الأزهر

هاتف محمول: 00201008543160

00201060908845

هاتف الإدارة: 00201220275629

هاتف أرضي: 002025117994

dar.alzakhair@gmail.com



تأليف الإمام الحافظ العلامة

جمال الدين بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي

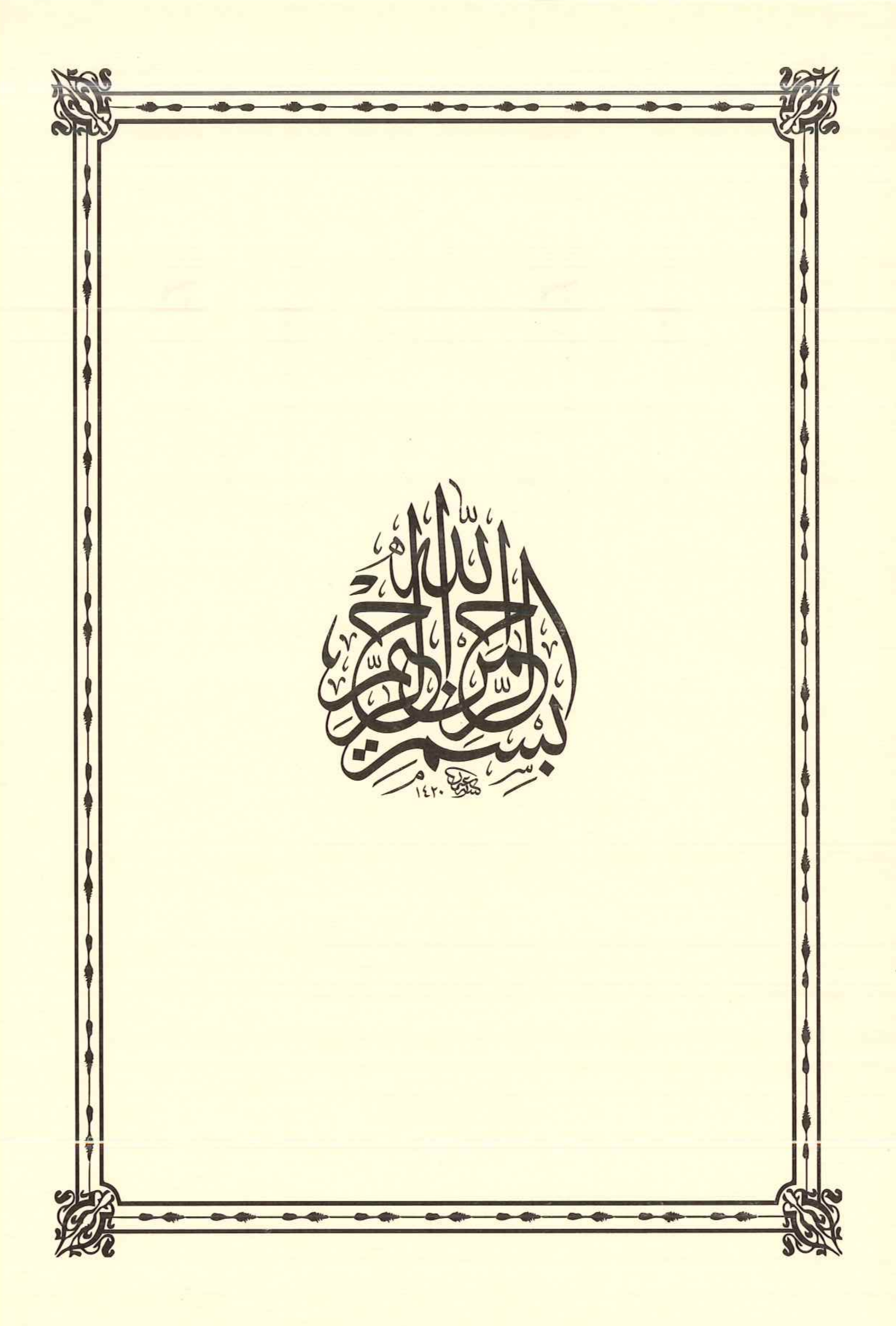
المعروف بابن المبرد

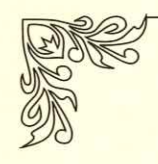
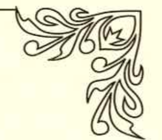
تحقيق

أحمد فتحي البشير

دار الذخائر

إحياء لتراث أمة


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي من صفات كماله العِلم، وصلَّى الله على مَن لم يُورِّث دِرهمًا ولا دِينارًا، وإنما ورَّث العِلم، وعلى آله وصحبه أُولِي الفَهم والحِلم والعِلم.

أما بعد، فإن مقام العِلم في دِين الإسلام لا يَخفَى، ومنزلة العلماء فيه في أعلى المنازل وأرقاها، فقد جعَل الله «أفضلَ الخَلق وأعلاهم في الدَّارَين: العلماءَ الذين هُم ورثة الأنبياء، وجعَل فيهم صفةً من صفاته؛ فإن العِلم من صفات الله، فمَن منحَه الله شيئًا، فقد منَّ عليه بنعمة عظيمةْ، وعلى قَدْر ما يَمنَحه من ذلك، يكون فيه من الفضيلةْ»[1].

ولمَّا كان شأن العِلم على هذه الحال، و«كان لكلِّ عِلم من العلوم مبادئ يَنبَغي لكلِّ طالب عِلم أن يُعنَى بها...؛ فهي عبارة عن باب ذلك الفَنِّ»[2]، فإن أُسَّ المبادئ لسائر العلوم هو تهذيب النَّفْس وتخليتها من الآفات والأدران، والتحلِّي بجميل الأخلاق ورفيع الصفات.

---

(١) «**إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة**» لابن المبرد (ص٢٠).

(٢) «**الأربعون المسلسلات من حديث سيد السادات ﷺ**» لابن المبرد، نقلًا عن «**الفهرس الوصفي للنسخ الخطية لمؤلَّفات يوسف بن عبد الهادي (ابن المبرد) المحفوظة بدار الكتب المصرية**» لصالح بن محمد بن عبد الفتاح (ص٥٥).

ولهذا فإنَّ مَن أراد تحصيل العِلم، كان لِزامًا عليه أن يُهذِّب نفسه ويُصلِحها؛ حتى تكون محلًّا صالحًا لقبوله، فإن العِلم شريف، ولا يَصلَح إلَّا لنفسٍ شريفة، ومن هنا اعتنى العلماء ببيان الأخلاق التي يَجب أن يَتخلَّق بها مَن سلَك طريق العِلم والتعلُّم، وسبيلُ تحصيل هذه الأخلاق هو العِلم؛ فتهذيب النفس وإصلاحها يَكُون للعِلم وبالعِلم.

ولهذا لمَّا رأيتُ أن لكلِّ أصحاب المذاهب المتبوعة مصنَّفات مفرَدةً في آداب العالِم والمتعلِّم متوفِّرةً بين أيدي أتباعها، يتدارسونها فيما بينهم، ولم أجِد شيئًا من ذلك بين أيدي أتباع مذهب السادة الحنابلة، وقد كنتُ وقفتُ على مختصَر نافع مفيد صغير الجِرم، يَصلُح أن يُشرَح في المجالس والدورات العلمية، وهو كتاب «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**» للعلَّامة المحدِّث يوسف ابن عبد الهادي الحنبلي، الشهير بابن المِبرَد، وقد اعتنى فيه ببيان آداب المتعلِّم التي فيها تهذيب نفسه وإصلاحها، ومع اعتنائه بهذا البُعد بالإضافة إلى كونه مختصَرًا جدًّا، إلَّا أنه قد ألَمَّ بكثيرٍ من آداب المتعلِّم؛ حتى كاد أن يُحِيط بها!

وكذلك رأيتُ أن هذا الباب غير معتنًى به عند كثير من المشتغلين بالعِلم من أهل زماننا، حتى إنك راءٍ بعضهم سبَّابـًا لعَّانًا، يَتفوَّه بما يَتفوَّه به السُّوقة من عامَّة الناس، ولا يَستَحيي من ذلك، بل هو مجاهِرٌ به! وما هذا إلَّا لأنه لم يُهذِّب نفسه ويُصلِحها حتى تكون صالحةً لتَحمُّل العِلم الشريف، وهكذا تكون حال من يَشتغِل بالعِلم ولم يؤدَّب، ولم يُعتَنَ بتربيته، ولا هو اعتنى بعدَ ذلك بتأديب نفسه ولا تربيتها!

كلُّ هذا حثَّني على إخراج كتاب ابن المِبرَد هذا وتحقيقه والعناية به؛ وقد

قدَّمتُ له بترجمة متوسطة لابن المِبرَد؛ ذكَرتُ فيها اسمه ونسبه ولقبه، وعرَّفتُ بأسرته، وشيوخه وما أخذه عنهم، وتلاميذه وما أخذوه عنه، ومكانته عند العلماء وما قيل فيه من ثناء، وكتبه التي لها علاقة بموضوع كتابه «**تهذيب النفس**».

وفي أثناء الترجمة ناقشتُ الدكتور الشريف حاتم العوني فيما ذكَره عن ابن المِبرَد من أنه أقلُّ الحنابلة عِلمًا وأدبًا، وأن عامَّة كتبه تافهة قليلة النفع!

وصنعتُ بعدَ الترجمة مدخلًا للكتاب، عرَّفتُ فيه بآداب العالِم والمتعلِّم مع بيان أهمية مَعرِفتها، ثم عرَضتُ فيه لجهود الحنابلة في هذا الباب، وما لهُم فيه من مصنَّفات، ومنهج المؤلِّف في كتابه، وما له وما عليه فيه، وأهميته وقيمته، ومصادره، ومطبوعة الكتاب! ثم وصَفتُ النسخة المعتمدة في التحقيق، ثم ختمتُه ببيان منهج عملنا في الكتاب.

وفي أثناء هذا المدخل ناقشتُ الدكتور البطاطي فيما ذكَره عن ابن المِبرَد من أنه كان مشارِكًا في التصوُّف المبتدَع السائد في عصره!

ثُمَّ يأتي بعدَ ذلك النصُّ المحقَّق، ثُمَّ يليه ملحَق السماعات التي على الكتاب، ثُمَّ الفهارس الفنية.



ترجمة ابن المِبرَد

مدخل إلى ترجمة ابن المِبرَد (*)

اعتنَى كثيرٌ من الباحثين في الآوِنة الأخيرة بتراث ابن المِبرَد، فعمِلوا على إخراج كثيرٍ من كُتبه التي ظلت فترة طويلة من الزمان حبيسة خزائن المخطوطات، لا يَستفِيد منها إلا القليلون، وقد تَعرَّض هؤلاء الباحثون في مقدِّمات تحقيقاتهم لهذه الكتب إلى التكلُّم عن حياته وآثاره؛ بين مُتوسِّع[1]، ومُقتصِد، ومُختصِر. ومنهم مَن أَفرَد الكلام عن حياته وآثاره بالتأليف[2]، ولهذا أَصبَح ما كتَب هؤلاء عُمدةً لمَن جاءوا بعدَهم في كلامهم عن حياة ابن المِبرَد وآثاره.

(*) من مصادر ترجمته: «**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**» للسخاوي (١٠/ ٣٠٨)، و«**مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**» لابن طولون (١/ ١٦٨)، و«**متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران**» لابن طولون، وابن المبرد، انتقاء ابن الملَّا الحصكفي (٢/ ٨٣٨)، و«**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**» لنجم الدين الغزي (١/ ٣١٧)، و«**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**» لابن العماد الحنبلي (١٠/ ٦٢)، و«**النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل**» لابن الغزي (ص٦٧)، و«**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**» لابن حميد النجدي (٣/ ١١٦٥)، و«**مختصر طبقات الحنابلة**» للشطي (ص٨٣)

(١) ومن هذه الدراسات الموسَّعة ما قام به محقِّقُ كتاب «**ثمار المقاصد في ذكر المساجد**» (ص٩-٤٩)، ومحقِّقُ كتاب «**الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**» (ص١٣-٨٢)، ومحقِّقُ كتاب «**زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم**» (١/ ١٥-٨١)، وصاحب دراسة «**الإمام يوسف بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي وآثاره الفقهية وبيان أثر حنابلة فلسطين في دمشق**»، صفوت عادل عبد الهادي (ص١٨٧-٣٧٣).

(٢) وهو مقال الأستاذ صلاح الخيمي ضِمن مجلة معهد المخطوطات، المجلد ٢٦ الجزء الثاني من (ص٧٧٥-٨١١) بعنوان: **يوسف ابن عبد الهادي؛ حياته وآثاره المخطوطة والمطبوعة**.

ولهذا فقد رأَيتُ ألَّا أُطِيل في ترجمته هُنا، وإنما أَكتفِي بذِكر ما يُعرِّف القارئ بصاحب الترجمة؛ بما يَجعَله يَعلَم مَن هو ابن المِبرَد، ومكانته العلمية، وأشهر شيوخه وما قَرَأه عليهم، وأشهر تلامذته وما أخذوه عنه من العِلم، مع الاقتصار في الكلام عن مؤلَّفاته على ما له عَلاقة بموضوع كتابه الذي نُحقِّقه.

هذا مع الاعتناء بما غفَل عنه كثيرٌ من هؤلاء الأماثل، وهو أخذُ بعض تفاصيل ترجمة ابن المِبرَد من كلامه نفسه الذي دَوَّنه في كُتبه التي بين أيدينا، إذ قد رأَيتُه في بعضها يَتعرَّض لتفاصيل عن نفسه وعن شيوخه، لم تَتعرَّض لها الكُتب التي ورَدت تَرجَمتُه فيها.

هذا مع الاعتناء ببعض المصادر التي لم يَعتنُوا بها مع كونها مصادر في غاية الأهمية في بيان حياة ابن المِبرَد العلمية، ومن هذه المصادر «**الفلك المشحون في أحوال ابن طولون**» لابن طولون الحنفي، وهو تلميذ ابن المِبرَد المقرَّب، وقد اعتنى فيه بذِكر ما أخذه من عِلم عن ابن المِبرَد وما قَرَأه عليه من كتبٍ.

هذا بالإضافة إلى ظهور بعض الكتب المخطوطة لابن المِبرَد التي لم تُتَح لهؤلاء الباحثين، وهي مصادر رئيسة في بيان حياته العلمية أيضًا، ومنها «**رسالةٌ في ذِكر شيوخه وما أخَذه عنهم**».

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

هو: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن مُحمَّد بن قُدامة بن مِقْدام بن نصر ابن فَتح بن حدَثة بن مُحمَّد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن مُحمَّد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يُلقَّب: جمال الدين بن بدر الدين بن شهاب الدين (ابن المِبرَد).

ويُكْنَى: أبا المحاسن، وأبا عمر كذلك.

قُرشيٌّ عَدَوِيٌّ عُمَرِيٌّ، دمشقيٌّ صالِحيٌّ، مقدسيٌّ، حنبليُّ المذهب[١].

ولهذا فقد كتَب تلميذه ابن طولون الحنفي في السماع الذي بخطِّه في نهاية كتابنا الذي نحقِّقه، وصحَّحه ابنُ المِبرَد: «قرَأتُ هذا الكتابَ على مؤلِّفه شيخِنا الإمام الحافظ العلَّامة **جمال الدين أبي المحاسن** يوسف بن القاضي **بدر الدين** حسن بن الشيخ **شهاب الدين** أحمد بن عبد الهادي، **العُمَرِي العَدَوِي القُرَشِي الحنبلي**...».

و(**ابن المِبرَد**) لقبٌ له، وهو في الأصل لقبٌ لجَدِّه شهاب الدين؛ لُقِّب به قيل: لقُوَّته، وقيل: لخُشُونة يده[٢].

واختُلف أيضًا في ضبطه؛ فقيل بفتح الميم وكسر الراء (المَبرِد).

---

(١) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٧).

(٢) راجع: «**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٣٩).

وقيل بكسر الميم وفتح الراء (المِبرَد)، وهذا الثاني هو الأشهر بين الباحثين المعاصرين[1].

(١) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٧)، و«**السحب الوابلة**» (١/ ١٢٠)، و«**فهرس الفهارس**» لعبد الحي الكتاني (٢/ ١١٤١)، و«**الأعلام**» للزركلي (٨/ ٢٢٥)، ومقدمة محقِّق كتاب «**مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول**» لابن المبرد (ص١٦).

مولده

اختُلف في سنة مولده؛ فالأكثرون على أنه وُلد سَلْخَ سنة (٨٤٠هـ)[١]، وقيل في غُرَّة المحرم سنة (٨٤١هـ)[٢]، وقيل (سنة بضع وأربعين)[٣]، وهو ضعيف.

وعلى الرغم من أن الفَرق بين القول الأول والثاني إنما هو يومٌ واحدٌ فقط، إلَّا أن القول الأول -كمَا يَرَى أحد الباحثين[٤]- أظهرُ؛ لكثرة القائلين به، ولأن منهم ابنَ طولون الحنفي تلميذَ ابن المِبرَد؛ إذ أَخبَر أن شيخه ابن المِبرَد هو الذي أَخبَر بذلك[٥].

إلَّا أننا رأَينا ابن المِبرَد نفسَه يَنصُّ في كتابه «**زُبد العلوم**» على أنه وُلد في السنة التي قال بها أصحاب القول الثاني، إذ أَخبَر في هذا الكتاب عن نفسه أنه وُلِد سنة (٨٤١هـ) في أول يوم منها[٦].

ومع هذا فإنَّنا لا نستطيع دفعَ ما قاله ابنُ طولون أو ردَّه؛ فابنُ طولون مِن أَلصَق تلامذة ابن المِبرَد به، وهو عالِم مؤرِّخ كبير، ثقةٌ فيما يُخبِر به ثبتٌ،

---

(١) راجع: «**شذرات الذهب**» (١٠/ ٦٢)، و«**السحب الوابلة**» (٣/ ١١٦٦)، و«**الكواكب السائرة**» (١/ ٣١٧)، و«**فهرس الفهارس**» لعبد الحي الكتاني (٢/ ١١٤١)، و«**الأعلام**» للزركلي (٨/ ٢٢٥).

(٢) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٨)، و«**مختصر طبقات الحنابلة**» (ص٨٣).

(٣) راجع: «**الضوء اللامع**» (١٠/ ٣٠٨).

(٤) راجع: مقدمة محقِّق كتاب «**القواعد الكلية والضوابط الفقهية**» لابن المبرد (ص١٣).

(٥) راجع: «**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٣٩).

(٦) راجع: «**زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم**» لابن المبرد (١/ ٦٣٤).

ويُمكِننا قبول كِلَا القولين من جهة أن ابن المِبرَد قد قال بهما؛ لأن الفَرق بينهما -كمَا ذكَرنا- يومٌ واحدٌ، ومِثلُ هذا الفَرق في هذا الأمر قد يَهِم المرء فيه، ولا يتحقَّق منه تمام التحقُّق، فيُخبِر به على وجه في وقتٍ، ثُمَّ يُخبِر به على وجه آخَر في غيره.

لكنَّنا نقول إنَّ ما سطَره ابنُ المِبرَد في كتابه أَولَى بالاعتماد؛ لأنَّ ما يُدوِّنه المرء بنفسه، يَكُون فيه أكثر تدقيقًا وأقوى استحضارًا.



طلبه للعِلم وشيوخه

نشأ ابن المِبرَد في بيت عِلم؛ فأبوه وجَدُّه من أعلام الحنابلة -كمَا سيأتي تقرير ذلك عند ذِكرهما ضِمن شيوخه-، فتلقَّى عنهما العِلم، ثُمَّ عكَف على الطلب والأخذ عن العلماء، فقرأ القرآن، والفقه على مذهب الحنابلة، وسمِع الحديث ورحَل في سماعه، ودرَس الأصول والنحو، وسلك طريق التصوُّف تعلُّمًا وسُلوكًا.

ونحن نَذكُر هنا أشهر شيوخه الذين أَكثَر مِن الأخذ عنهم من مشاهير عصره الذين أسهموا في بنائه العِلمي، أو من وُصِف منهم بمزيد صلاح وإن لم يُكثِر الأخذ عنهم لمناسبة ذِكرهم مع موضوع كتابنا «**تهذيب النفس**»، أو من ورَد ذِكرهم في هذا الكتاب مطلقًا؛ فنَنصُّ على ما قرأه عليهم، وتلقَّاه منهم.

ولا نَنسى أن ننبِّه على أن ابن المِبرَد لمَّا كان الغالب عليه عِلم الحديث، كمَا تَشهَد به مصنَّفاته، ويُقرِّره بعضُ مَن تَرجَم له[1]= تأثَّر بمنهج المحدِّثين وطريقتهم في التأليف، وكان مِن هذا أنْ أَفرَد بالتصنيف ذِكر شيوخه وما أَخَذه عنهم في أكثر من مؤلَّف، والأليقُ بالذِّكر في مقامنا هذا رسالتان صغيرتان؛ الأُولى في ذِكر شيوخه وما أَخَذه عنهم، والثانية رسالة بأسماء بعض شيوخه بالإجازة، وكِلتا الرسالتين مخطوطة، وسنُعوِّل عليهما في ذِكر شيوخه مع باقي كُتبه التي تعرَّض فيها إلى ذلك.

---

(١) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٩).

١- أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي، شهاب الدين، المسنِد الكبير، جَدُّ ابن المِبرَد.

سمِع منه ابنُ المِبرَد بعض مسند الإمام أحمد، وأجازه بالباقي، وهو سند عالٍ، ولهذا يَروِي ابن المِبرَد أحاديث المسند في أكثر كُتبه عن جَدِّه إيثارًا للعُلُو على عادة المحدِّثين، كمَا أجازه بالجزء الثاني من أمالي ابن الأنباري، وأجزاء من مشيخة ابن البخاري، وأشياء أُخَر.

تُوفِّي في ليلة الجمعة ثاني شهر رجب سنة (٨٥٦هـ) بمنزله بالسهم الأعلى بصالحية دمشق، ودُفن عند جَدِّه الشيخ موفق الدين بالروضة[١].

أَكثَرَ ابن المِبرَد من رواية الأحاديث والآثار عنه في كتابنا «**تهذيب النفس**».

٢- أبو بكر إبراهيم بن يوسف البعلي الصالحي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قُنْدُس.

كان مُتبحِرًا فِي الفقه وأصوله، والتفسير، والتصوف، والفرائض، والعربية، والمنطق، والمعاني والبيان، فأقبَل عليه الطَّلَبة، حتى كثُر تلامذته، ونبَغ منهم غير واحد، كلُّ هذا مع الدِّين المتين، والورع الثخين، ومزيد التقشف، والتواضع، والزهد، والعفاف[٢].

وصَفه ابن المِبرَد بالصلاح التامِّ[٣]، وأكثر من ذِكره في «**الجوهر**

---

(١) راجع: «**رسالة لابن المبرد في ذِكر شيوخه وما أخذه عنهم**» (ق٧٧/ ظ)، و«**النهاية في اتصال الرواية**» له (ص٩٩).

(٢) راجع: «**الضوء اللامع**» (١١/ ١٤).

(٣) راجع: «**صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله**» لابن المبرد (ص٩٧).

المنضد»[١]. تُوفِّي سنة (٨٦١هـ)[٢].

٣- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف الحنبلي الفقيه المقرئ المحدِّث المتفنن، المعروف بزين الدين بن الحَبَّال.

كان صاحبَ زُهدٍ ورضًا ووَرعٍ ودِين وكلامٍ حَسنٍ، تابعًا للسُّنة والآثار، يَقُوم الليل كثيرًا، ويَصُوم غالبَ أيَّامه، مشهور برِفقه بالطَّلَبة والشَّفقة عليهم.

وقد وصَفه ابن المِبرَد بالكرم الزائد، فقال عنه في كتابه «**مراقي الجنان وقضاء حوائج الإخوان**»[٣]: «كان مِن الأجواد الكِبار؛ يَشترِي الوَرَق ويُفرِّقه، ويَشترِي الأقلام ويُفرِّقها، ويَصنَع الحِبر ويُفرِّقه، وهو والناس في بيته سواء».

وقد ذكَر عنه ابن المِبرَد في رسالته «**الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور**»[٤] أنه كان كثير الاستعمال لفاتحة الكتاب لقضاء حوائجه ونجاح أُمُوره.

قرَأ عليه ابن المِبرَد القرآن وجميع «**المُقنع**» و«**البخارى**» و«**مسلم**» وغير ذلك. تُوفِّي سنة (٨٦٦هـ)[٥].

٤- أحمد بن زيد الموصلي الشيخ الكبير المسنِد المحدِّث النحوي.

قرَأ عليه ابن المِبرَد بعض البخاري، وكتابَ «**الرد الوافر**» وكتاب «**فضائل الأوزاعي**» له و«**محاسن الأذكار**» له، وكتاب «**الفرج بعد الشدة**» والسيرة لابن هشام، والحديث المسلسل بالأولية، وأشياء كثيرة أخرى، وأجاز له أن يَروِي

---

(١) (ص١٧، ٣٤، ٩٥، ١٠٠).

(٢) راجع: «**الضوء اللامع**» (١١/ ١٥).

(٣) (ص٣٠٧).

(٤) (ص٣٧٤، ٣٧٥).

(٥) «**الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد**» لابن المبرد (ص٦٦).

جميع ما له وعنه روايته[١].

وقد وصَفه ابن المِبرَد في كتابه «**مراقي الجنان**» بالكَرَم الشديد، فقال عنه: «كان من الأجواد الكِبار، كثير الضيافة لمَن يَغشاه، يَصنَع لهم الأطعمة الفاخرة، ويَصِلهم، ويُهدِي إليهم»[٢]، وعدَّه في كتابه «**صَب الخمول**» من الصالحين الأخيار في عصره[٣]. تُوفِّي سنة (٨٧٠هـ)[٤].

له ذِكر في «**تهذيب النفس**».

٥- أحمد بن محمد بن علي البعلي الحنبلي، المعروف بابن العَيْثَاوي[٥].

قال ابن المِبرَد عنه: «أحد العُدُول، ومنه لَبستُ الخِرقَة القادرية، عدلًا نظيفًا، حسنَ الكتابة، كثيرَ المروءة. تُوفِّي يوم الأحد في العشر الأول من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وثمان مئة ببعلبك، ودُفن بها، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وإيانا»[٦].

له ذِكر في «**تهذيب النفس**».

٦- أحمد بن محمد بن محمد بن الشريفة، الشيخ المسنِد.

«كان خَيِّرًا كبيرَ الهِمَّة، محافِظًا على الجماعة لا يَفتُر عن ذلك»[٧].

---

(١) راجع: «**رسالة لابن المبرد في ذِكر شيوخه وما أخذه عنهم**» (ق٧٧/ ظ).

(٢) «**مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان**» لابن المبرد (ص٣٠٧).

(٣) راجع: «**صب الخمول**» لابن المبرد (ص٩٧).

(٤) راجع: «**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**» لبرهان الدين بن مفلح (١/ ٨٢).

(٥) تحرفت في «**الجوهر المنضد**» (ص١٣) إلى: ابن العاوي.

(٦) «**الجوهر المنضد**» لابن المبرد (ص١٣).

(٧) «**الضوء اللامع**» (٢/ ٢٠٢).

قرأ عليه ابن المِبرَد كتاب «**الشمائل**»، وأجاز له أن يَروِي ما له وعنه روايته[١].

تُوفِّي بعد سنة (٨٧١هـ)[٢].

له ذِكر في «**تهذيب النفس**».

٧- عمر بن اللؤلؤي الصالحي الدمشقي المقرئ.

قرأ عليه ابن المِبرَد «**ثلاثيات البُخاري**»، و«**الزُّهد**» للإمام أحمد، و«**مسنَد عَبْد بن حُمَيْد**» وغير ذلك. قال ابن المِبرَد عنه: «وهو الذي كُنَّا نتأدَّب به، ولا يؤدِّبنا من الجماعة غيرُه...، لا يخاف في الله لومة لائم، وربما كرِهه أبناء الدنيا؛ لأنه كان يَصدَعهم بالحقِّ صَدعًا. تُوفِّي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة»[٣].

وعدَّه ابن المِبرَد في «**صب الخمول**»[٤] من صالحي عصره، ووصَفه في «**مراقي الجنان**»[٥] بأنه كان من الأجواد، كثير الإحسان إلى الفقراء، سَمْح النفْس مع فقْره.

٨- حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي، بدر الدين حسن، والِد ابن المِبرَد.

فقيه حنبلي، مع مشاركة قوية في النحو والصرف والحديث والتاريخ، أُذِن له عن شيوخه بالإفتاء على مذهب الحنابلة، ووَلِي القضاء. أخَذ عنه ابن

---

(١) راجع: «**رسالة لابن المبرد في ذِكر شيوخه وما أخذه عنهم**» (ق٧٨/ ظ).

(٢) راجع: «**الضوء اللامع**» (٢/ ٢٠٢). (٣) «**الجوهر المنضد**» (ص١٠٦).

(٤) (ص٩٧). (٥) (ص٣٠٩).

المِبرَد وروَى عنه[١]. تُوفِّي سنة (٨٩٩هـ)[٢].

وقد أجاز لابن المِبرَد أيضًا جماعةٌ من مصر؛ منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، والتقي الشُّمُنِّي، وابن فهد المكي، وابن قطلوبغا وغيرهم من أعلام الفقهاء والمحدِّثين في مصر[٣].

وقد أَفرَد ابن المِبرَد أسماء مَن أجازوا له برسالة، وهُم كُثُر، وممَّن ذكَرهم فيها شيخ الإسلام صالح بن عمر البلقيني (ت٨٦٨هـ)، والجلال المحلي (ت٨٦٤هـ)[٤].

كمَا كان لابن المِبرَد مجموعة من الشيخات قرَأ عليهن، وروَى عنهن، وأَجَزنَ له[٥].

وكلُّ هذا وغيره يؤكِّد ما ذكَره صاحب «**النعت الأكمل**»[٦] من أن ابن المِبرَد أخَذ العِلم عن مشايخ كُثر جدًّا، وحضَر دُرُوس خلائق لا يكادون يُحصَون كثرةً.

---

(١) راجع: «**النهاية في اتصال الرواية**» لابن المبرد (ص١١٢، ٢١١، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٧٥)، و«**الجوهر المنضد**» (ص٣١).

(٢) راجع: «**الجوهر المنضد**» (ص٣٠، ٣١). (٣) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٨).

(٤) راجع: «**رسالة لابن المبرد في أسماء بعض شيوخه بالإجازة**» (ق٩/ ظ).

(٥) راجع: «**رسالة لابن المبرد في ذِكر شيوخه وما أخذه عنهم**» (ق٧٧، ٧٨/ و)، و«**رسالة لابن المبرد في أسماء بعض شيوخه بالإجازة**» (ق٩/ ظ)، (ق١٠/ و)، و«**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٧٢)، و«**كشف الغِطا عن محض الخطا**» لابن المبرد (ص١٤٠).

(٦) (ص٦٨).

تلامذته ومَن أخذ عنه من أُسرته

بعد أن حصَّل ابن المِبرَد هذا القدر الكبير من العِلم الذي أخَذه عن شيوخه= أصبح مؤهَّلًا للتدريس والتعليم؛ فقد درَّس في المدرسة العُمَرِية في دمشق، وهي من أكبر مدارس الحنابلة وقتها، فقد كان له فيها درسٌ يوم الثلاثاء من كلِّ أسبوع، وباقي الأيام موزَّعة على شيوخه وأقرانه[١]، وقد قرئ عليه كتاب «**تهذيب النفس**» مرتين في هذه المدرسة كمَا هو مثبَت في ملحَق السماعات في آخر تحقيقنا، كمَا درَّس في غيرها من المدارس.

هذا بالإضافة إلى إقرائه بعض تلامذته في بُستان بيته بالسهم الأعلى بصالحية دمشق، ومنهم ابنُ طولون الحنفي، إذ قال ابنُ طولون في كتابه «**بسط سامع المسامر**»: «أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن حسن بن أحمد...، سماعًا عليه ببُستانه بالسهم الأعلى...»[٢].

واجتهاد ابن المِبرَد في التدريس على هذه الصفة أَسهَم في جعْل تلامذته والآخذين عنه العِلم كَثيري العَدَد، فكمَا أن ابن المِبرَد قد أَخَذ العِلم عن مشايخ كثيرين جدًّا، فإنَّ مَن أَخَذوا عنه العِلم كانوا كذلك، ولو اكتفينا بذِكر أسماء من سمِعوا عليه كتابه «**تهذيب النفس**» لكفَى، إذ بلَغوا أكثر من أربعين نفسًا، كمَا ستراهم بحَوْل الله تعالى في ملحَق السماعات في آخر تحقيقنا.

---

(١) راجع: «**القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**» لابن طولون الحنفي (١/ ٢٥٩).

(٢) «**بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر**» لابن طولون الحنفي (ص١٢).

إلَّا أننا هنا سنكتفِي بذِكر أشهر من أخَذ عنه، أو ذُكِر في سماعات كتابنا «**تهذيب النفس**» ووجَدنا له ترجمةً.

أوَّلًا: تلامذته:

١- فضل بن عيسى النَّجْدِي الحنبلي، زين الدين.

وصَفه ابن المِبرَد بالدين والفضل، وذكَر أنه قرَأ عليه «**المُقنِع**» وغيره.

وقد مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل شيخه، إذ ذكَر ابن المِبرَد أنه تُوفِّي سنة (٨٨٢هـ)[١]، لكن ذُكِر في «**متعة الأذهان**»[٢] أنه تُوفِّي سنة (٨٨٣هـ).

٢- يوسف بن محمد الصيداوي البعلبكي الحنبلي، قاضي حلب.

تخرَّج بابن المِبرَد، مع كونه قد شارَكه في الأخذ عن أغلب مشايخه[٣]، وإنما كان هذا بسبب تقديره لابن المِبرَد واعتقاده عُلُو مكانته، ودليل ذلك **أمران**:

الأول: قولُه في السماع الذي كتَبه بخطِّه في نهاية كتاب ابن المِبرَد «**النهاية في اتصال الرواية**»: «قرأتُ جميعَ هذا الكتاب، وهو كتاب «**النهاية في اتصال الرواية**» على مؤلِّفه أخينا في الله ومَن اقتدينا به في بعض أحوالنا، الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالِم الوَرِع جمال الدينِ أبي المحاسن يوسف...»[٤].

---

(١) راجع: «**الجوهر المنضد**» (ص١١٢).

(٢) (١/ ٥٧٤).

(٣) راجع: «**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٤٩).

(٤) «**النهاية في اتصال الرواية**» (ص٢٩٩).

الثاني: أن الصيداوي كان يُشارِك ابن المِبرَد في نَسْخ بعض كُتبه، فكان ابن المِبرَد يَنسَخ بعضها، والصيداوي يُكمِل له النسخ، وقد قام بذلك في «**الأربعون المختارة من حديث الحافظ عبد الغني**»، و«**الأربعون المختارة من مسند الدارمي**»، و«**الأربعون المختارة من النسائي**»، و«**الستون المسلسلة بالمحمدين**»، و«**العشرة المختارة من الثقفيات**»، و«**العشرون المختارة من حديث جد جده عماد الدين ابن عبد الهادي**»[(١)].

وقد كان ابن المِبرَد يُبادِل الصيداوي هذا التقدير والوُدَّ، ودليل ذلك عبارته التي تَرجَم له بها في «**الجوهر المنضد**»[(٢)]، إذ قال: «**صاحبنا وأخونا**...، الفقيه المحصِّل، صاحِب دِين ووَرعٍ».

توفِّي سنة (٨٩٦هـ)[(٣)].

٣- أبو القاسم بن علي بن محمد السبتي الأندلسي الوادي آشي المالكي.

قَرَأ الفقه والعربية على أبيه، ثُمَّ اعتنى بالحديث، فرحَل في سماعه، وأكثَر من أخذه عن الشمس السخاوي[(٤)].

وعندما رحَل إلى دمشق أخَذ بها عن ابن المِبرَد، وسمِع منه بعض كُتبه، وكان يَكتُب بعض هذه السماعات بخطه مِثل كتابته سماعه مع آخرِين لكتاب

---

(١) راجع: «**الفهرس الوصفي للنسخ الخطية لمؤلَّفات يوسف بن عبد الهادي**» (ص٢١، ٤٤، ٥٣، ١١٧، ١٢٥، ١٤١).

(٢) (ص١٨٣).

(٣) راجع: «**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٤٩).

(٤) راجع: «**الضوء اللامع**» (١١/ ١٣٦).

«الثلاثون التي عن الإمام أحمد في صحيح مسلم»[١]، وكذلك سماعه مع آخرين لكتابنا «تهذيب النفس» كمَا هو مثبَتٌ في ملحَق السماعات.

كان حيًّا سنة (٨٩٨هـ)[٢].

٤- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الدمشقي الكتبي الحنفي، زين الدين.

كان يَتسبَّب بصناعة التجليد وقراءة المولد الشريف، سمِع الكثير على ابن المِبرَد[٣]، وممَّا سمِعه عليه «**تهذيب النفس**» كمَا هو مثبَتٌ في ملحَق السماعات.

تُوفِّي سنة (٩٣٢هـ)[٤].

٥- أبو بكر بن عمر بن محمد القدسي الأصل الصالحي الحنبلي، تقي الدين، الشهير بابن الزلباني.

حفِظ القرآن، ثُمَّ «**مختصر الخرقي**» و«**ملحة الإعراب**»، قرَأ الكثير على ابن المِبرَد، وبه تفقَّه[٥]، له سماع لـ«**تهذيب النفس**» كمَا هو مثبَتٌ في ملحَق السماعات.

تُوفِّي سنة (٩٣٥هـ)[٦].

---

(١) راجع: «**الفهرس الوصفي للنسخ الخطية لمؤلَّفات يوسف بن عبد الهادي**» (ص١٠٥).
(٢) راجع: «**الضوء اللامع**» (١١/ ١٣٦).
(٣) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ٤١٣).
(٤) السابق نفسه.
(٥) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ٢١٥).
(٦) السابق نفسه.

٦- محمد بن علي بن أحمد بن خمارويه الصالحي الدمشقي، الحنفي المحدِّث النحوي، الشهير بابن طولون.

أَخَذ عن جماعة من أعلام عصره، منهم الجلال السيوطي وآخرين. وأَكثَر من التصنيف والانتقاء والاختصار[١] كشيخَيه الجلال السيوطي والجمال بن المِبرَد.

أمَّا ابن المِبرَد فقد كان ابن طولون معظِّمًا له مكثِرًا من ذِكره في كُتبه، فذكَر أنه قرَأ عليه في الحديث، إذ قال: «قرأتُ على المحدِّث جمال الدين بن المِبرَد «**النخبة**» ثُمَّ «**شرحها**» كلاهما لحافظ العصر أبي الفضل بن حجر»[٢]. وقد كتَب له ابن المِبرَد إجازة بذلك، ذكَرها ابن طولون في «**الفلك المشحون**»[٣].

وقرَأ عليه في الفرائض، قال: «حليتُ عليه سماعًا من لفظه «**الفحص الغويص في حل مشكلات العويص**»»[٤].

كمَا قرَأ عليه في التاريخ، قال: «وعِلم التاريخ عن جَمعٍ، منهم الجمال بن المِبرَد، أفادني من لفظه أماكن من كتاب «**الشماريخ في عِلم التاريخ**» لشيخنا الجلال السيوطي»[٥]. وفيه دلالة على تواضُع ابن المِبرَد، لأن كثيرًا من الأقران والمتعاصرين يَستنكِفون إقراء كُتب أقرانهم ومعاصريهم!

---

(١) راجع: «**الفلك المشحون في أحوال ابن طولون**» لابن طولون الحنفي (ص٧٣-١٤٨).
(٢) «**الفلك المشحون**» (ص٤٣).
(٣) (ص٥٣).
(٤) «**الفلك المشحون**» (ص٤٩).
(٥) «**الفلك المشحون**» (ص٥١).

كمَا قرَأ عليه في التصوُّف، قال: «قرأتُ عليه مؤلَّفه «**صدق التشوف إلى علم التصوف**»، ثُمَّ كتابه «**بدء العلقة بلُبس الخرقة**» وألبسني إياها»[١].

ولتعظيم ابن طولون لشيخه وعُلُو مكانته عندَه أَفرَد ترجمته بمؤلَّف، وسمَّاه «**الهادي إلى ترجمة شيخنا المحدِّث الجمال بن عبد الهادي**»[٢].

ومن مظاهر تعظيمه وإجلاله له أيضًا أنه كان يمتلك بعض كُتبه شراءً من أولاده كمَا هو مسطور بخطِّه على النسخ الخطية من هذه الكُتب، ومنها كتابنا «**تهذيب النفس**» كما سترَى -بحَوْل الله تعالى- عند وصفنا للنسخة الخطية التي اعتمدناها في تحقيقنا هذا، كمَا أنه كتَب سماعَين لـ«**تهذيب النفس**» بخطِّه، كمَا هو مثبَتٌ في ملحَق السماعات.

تُوفِّي سنة (٩٥٣هـ)[٣].

وقد تلقَّى آخرون كُثُر العِلمَ عن ابن المِبرَد كمَا ذكَرنا، وقد نصَّ صاحب «**متعة الأذهان**» على جماعة منهم وما أخذوه عنه[٤].

ثانيًا: مَن أخَذ عنه من أسرته:

اشتهرت دمشق الشام بوجود بُيُوتات علمية شهيرة وعريقة بها، خرَج منها علماء أعلام أجلَّاء، ومن تلك البيوتات آل قدامة التي منها شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة صاحب كتاب «**المغني**».

(١) «**الفلك المشحون**» (ص٥١).

(٢) «**الفلك المشحون**» (ص٤٩).

(٣) «**الكواكب السائرة**» (٢/ ٥٣).

(٤) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ١١١، ١٦١، ١٦٩، ١٧١، ١٨٥، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٤٥٧، ٥٠١، ٥١٦)، (٢/ ٦١٣، ٦٤٩، ٦٨٩، ٧٣٤، ٨٤٩).

وقد تفرَّع عن آل قدامة بيتُ عِلم عريق في العِلم هو بيت آل عبد الهادي الذي منه صاحبنا ابن المِبرَد، كمَا بان لك ذلك من ذِكر نَسبه، والناظرُ إلى آل عبد الهادي يَرَى أنه قد نبغ فيهم جَمعٌ من الأعلام؛ منهم:

١- الحافظ ابن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ) صاحب كتاب «**الصارم المنكي في الرد على السبكي**» وغيره، وهو عَمُّ جَدِّ ابن المِبرَد؛ ذكَر ذلك ابن المِبرَد نفسه في كتابه «**أحكام الحَمَّام**»[1]، إذ قال في أحد المواضع فيه: «قال عَمُّ جَدِّنا الشيخ الكبير شمس الدين ابن عبد الهادي في كتاب «**تنقيح التحقيق**»...».

٢- والد ابن المِبرَد وجَدُّه، وقد تقدَّم ذِكرهما ضِمن شيوخه.

٣- المحدِّثة الشهيرة ومسنِدة الدنيا عائشة ابنة عبد الهادي (ت٨١٦هـ)[2].

٤- أحمد بن حسن بن عبد الهادي (ت٨٩٥هـ)، أخو ابن المِبرَد، سمِع على شيوخ أخيه، وبرَع في الفقه وشارك في سائر العلوم، فصنَّف «**شرح الخرقي**» و«**شرح الملحة**»، وكان صالحًا، أَفرَد ابن المِبرَد له ترجمةً سمَّاها «**تعريف الغادي بفضائل أحمد بن عبد الهادي**»[3].

٥- الشيخة الصالحة المسنِدة خديجة بنت عبد الهادي الحنبلية، أخت ابن المِبرَد، تُوفِّيت سنة (٩٣٠هـ)[4].

وغير هؤلاء من أعلام بيت آل عبد الهادي.

---

(١) (ص ٤١٧). وقد ذكَر مثل هذا في كتابه «**تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ**» (ص١٩٩).

(٢) راجع ترجمتها الحافلة في «**الضوء اللامع**» (١٢/ ٨١).

(٣) راجع في ترجمته «**الجوهر المنضد**» (ص٩)، و«**متعة الأذهان**» (١/ ٦٢).

(٤) راجع في ترجمتها «**متعة الأذهان**» (٢/ ٨٧٠).

وإذا نظَرنا إلى حال ابن المِبرَد مع أسرته، شَعَرْنا كأنه يريد أن يُسهِم في استمرار آل عبد الهادي في سِلك العِلم، ويَسعَى ويُشارِك في إخراج جيلٍ من العلماء وطلبة العِلم منهم، ليَستمِر ذِكر هذا البيت ضِمن بُيُوتات العِلم الشهيرة، وحُقَّ له أن يَفعَل؛ فإن المنشغِل هذا الانشغال الشديد بالعِلم كابن المِبرَد وقد نشأ وترعرع في هذه البيئة العلمية المحضة، وورِث هذا الإرث العلمي الفخم الضخم عن آبائه وأجداده= لا يَسعُه إلَّا ما سعَى إليه ابن المِبرَد.

ويَظهَر هذا ممَّا كان يَقُوم به مِن جمعِ أفراد أسرته عند انتهائه من تصنيف أي كتاب له -في الأعم الأغلب- وإسماعهم إياه من لفظه، ثُمَّ إجازتهم به، وقد نصَّ على ذلك الأستاذ محمد سعد أطلس -وهو من أصحاب أوسع الدراسات التي تحدَّثت عن كُتب ابن المِبرَد-، إذ قال: «كان من عادته أن يَجمَع أولاده وأولادهم ونساءه ونساءهم وقَرابته، ويَقرَأ عليهم مؤلَّفاته، ويُجيزُهم بها...، ولو أن إنسانًا تَصفَّح كُتبه المحفوظة بالظاهرية، لوجدها كلَّها تَحوِي إجازات لأولاده ونسائه وتلاميذه»[1].

وقد قام أحد الباحثين بتتبُّع أفراد أسرة ابن المِبرَد من خلال مخطوطات كُتبه، فوقَف على أن له ثلاث عشرة امرأة ما بين زوجة وسُرِّيَّة، أَنجَبنَ له ستةً وعشرين من الولد[2].

وقد كان من الكتب التي أسمعها لبعض أفراد أسرته وأجازهم بها= كتابنا **«تهذيب النفس»**، إذ أجاز به من **أزواجه وجواريه**:

---

(١) من مقدمة تحقيقه لـ«**ثمار المقاصد**» (ص١٢).

(٢) راجع: مقدمة محقِّق «**مقبول المنقول**» (ص٢٣).

- جوهرة بنت عبد الله.

- بلبل بنت عبد الله.

- مولاته حلوة بنت عبد الله.

ومن أولاده:

- عبد الهادي.

- عبد الله أبو بكر.

- حسن.

كمَا هو مثبَتٌ في ملحَق السماعات.

وعلى الرغم من اعتناء ابن المِبرَد بأبنائه من جهة العِلم هذا الاعتناء الشديد، إلَّا أننا لم نَرَ منهم من اشتهر بالعِلم وعُدَّ من البارزين فيه، إلَّا ابنه عبد الهادي، فقد جاء في ترجمته أنه حفظ القرآن و«**الخرقي**»، وسمِع وأُجِيز من عِدَّة من الشيوخ، ثُم باشَر عند نائب حماة إلى أن مات سنة (٩١١هـ)[1].

ولعلَّ السبب في ذلك هو أن أكثر أبناء ابن المِبرَد قد هلَكوا في طاعون الشام عام (٨٩٧هـ)[2].

---

(١) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ٤٧٧).

(٢) راجع: مقدمة محقِّق «**مقبول المنقول**» (ص٢٣).

صفاته وأخلاقه وآراء العلماء فيه

على الرغم من أن ظاهر حال ابن المِبرَد الغِنى وسَعة الرزق[١]، إلَّا أنه كان مشهورًا بالتعبُّد والتنسُّك وكثرة العبادة والزُّهد والوَرَع، وكان دائم التحسُّر على حال الناس في عصره من البعد عن الطاعة والانغماس في المعاصي، والانشغال الزائد بالدنيا، ومَن طالَع كتابه «**صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله**»، وجَد شيئًا من هذا.

ومن صفاته التي اشتهر بها التواضع وطرح التكلُّف، وهو في ذلك كأبيه بدر الدين حسن[٢]، ومن مظاهر ذلك ما تَجِده من هذه العبارات التي يَنعَت بها تلامذتَه المنثورةِ في السماعات التي على كُتبه، مثل: سيِّدي الوَلَد. و: الوَلَد. و: الشيخ. كما سترى أمثلة من ذلك في ملحَق السماعات في نهاية تحقيقنا.

والغِنَى مع الطاعة والتنسُّك مَظِنَّة الكَرَم، وهو ما كان يَتَّصِف به ابن المِبرَد بالفعل، ويَدُلُّ على ذلك قوله: «نظَرتُ في الأمور وتَحرَّيتُها، فلم أَجِد أعظمَ بركةً ممَّا يأكل منه الناس، وقد شاهدتُ من ذلك أمرًا عظيمًا؛ فإني كنتُ أشتري الشيء اليسير وأَضَعُه، وأُطعِم منه الشيء الكثير ويُقِيم الدهر الكثير، وما لا نُطعِم منه، نأكلُه في دهرٍ أقلَّ من ذلك!»[٣].

كمَا كان أمَّارًا بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر، بل وصل في ذلك إلى أعلى

---

(١) راجع: «**مراقي الجنان**» (ص٣٢٣).
(٢) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ٣٢٨).
(٣) «**مراقي الجنان**» (ص٣٢٣).

رتبة، وهي مناصحة الأمراء والسلاطين ومكاتبتهم ووعظُهم، وقد صنَّف في ذلك كتابه «**إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة**»، وقد بان هذا منه عمليًّا في فتنة حصار الصالحية وتوعُّد أهلها بالقتل والحرق والنهب من أحد المماليك الأتراك وبعض الرِّعاع والأوباش معه[١].

ولعلَّ تحلِّي ابن المِبرَد بهذه الصفات والأخلاق الكريمة، كان بسبب سلوكه مذهب التصوُّف والالتزام بآدابه، فقد كان ابن المِبرَد على مذهب التصوُّف على طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الحنبلي الجليل الشهير (ت٥٦١هـ)، وهي طريقة قائمة على الجِدِّ والاجتهاد، والالتزام بالشرع وما كان عليه السَّلَف الصالح، وقد تَعرَّض ابن المِبرَد لشرح هذا في كتابنا «**تهذيب النفس**»، وسيأتي مزيد بيان لهذا عند مناقشتنا لمَن اعترَض عليه في التزامه ببعض طقوس التصوُّف ورسومه على حدِّ تعبير المعترِض.

ولجمعِ ابن المِبرَد بين العِلم والعمل به، كثُر ثناء الناس عليه، وتكاد تَتفِق كلمتهم على ذلك، فقد قال تلميذه وصَنْعتُه ابنُ طولون عنه: «الشيخ الإمام عَلَم الأعلام، المحدِّث، الرُّحلَة، العلَّامة، الفهَّامة، العالِم والعامِل، المُتقِن، الفاضِل جمالُ الدين أبو المحاسن...»[٢].

وقال أيضًا في أحد السماعَين اللذَينِ بخطِّه في نهاية كتابنا «**تهذيب النفس**»: «... شيخِنا الإمام الحافظ العلامة جمال الدين...».

---

(١) راجع: «**مفاكهة الخلان**» (ص١٦٢)، و«**صب الخمول**» (ص١٤٣).

(٢) راجع: «**السحب الوابلة**» (٣/ ١١٦٧) نقلًا عن «**سكردان الأخبار**» لابن طولون.

كمَا قال فيه تلميذه أبو القاسم الوآدي آشي كمَا في السماع الذي بخطِّه في نهاية كتابنا «تهذيب النفس»: «...سيدنا ومولانا وشيخنا ومفيدنا الشيخ الإمام العالِم العلامة البحر الفهامة المسنِد المحدِّث...جمال الدين...».

ووصَفه عبد القادر النُّعيمي (ت٩٢٧هـ): بـ«الشيخ العالِم المصنِّف المحدِّث»[(١)].

وكذا قال نجم الدين الغَزِّي (ت١٠٦١هـ): «الإمام العلَّامة المصنِّف المحدِّث»[(٢)].

ووصَفه الإمام عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) بأنه «كان إمامًا علَّامة، يَغلِب عليه عِلم الحديث والفقه، ويشارِك في النحو، والتصريف، والتصوف، والتفسير»[(٣)].

وغير هذه من عبارات الثناء والمدح[(٤)] التي تَدُلُّ على اتفاقهم على تقدُّمه وإمامته وفضله وجَلَالته[(٥)].

---

(١) «**العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان**» لعبد القادر النعيمي (ق١٦/ ظ).

(٢) «**الكواكب السائرة**» (١/ ٣١٧).

(٣) «**شذرات الذهب**» (١٠/ ٦٢).

(٤) راجع: «**فهرس الفهارس**» (٢/ ١١٤١)، و«**مختصر طبقات الحنابلة**» (ص٨٦).

(٥) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٩).

تذييل:

تقرَّر ممَّا سبَق أن ابن المِبرَد كان من الزهد والوَرَع والعبادة والعِلم بمكان مكين، لم يُنازِع في ذلك أحد من تلامذته -على جلالتهم في العِلم والعمل- ولا أصحاب التراجم الثقات مِن بعدِهم، إلَّا أن العالِم وإنْ بلَغ في العِلم والزُّهد والعبادة المراتب العليا، فإنه مع ذلك ليس بمعصوم، ولا هو بمستطيعٍ أن يَنسلِخ في بعض الأحيان ممَّا يَعترِي البَشَر من الغضب والغفلة والذهول والإلف وغيرها من العوارض التي تَعترِي أكثر البَشَر، وتَتسبَّب في إيقاع بعضهم في بعض الأغلاط والأخطاء.

وقد حصَل لابن المِبرَد شيءٌ من هذا، وهو ما قاله عن الحافظ الكبير ابنِ عساكر (ت٥٧١هـ) في كتابه «**جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر**» في أثناء ردِّه عليه فيما كتَبه في «**تبيين كذب المفتري**»، إذ قال في مقدمته: «وسمَّيتُه «**جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر**»، حيث بال وخري، وتعصب للأشعري، ورَدَّ على الصحيح البري، وزعَم أنه كذابٌ مفتري»[1]، وغير هذه من العبارات القاسية التي قاله في ثنايا الكلام على ابن عساكر وغيره ممَّن يَنتسِبون إلى الأشعرية.

ونحن قطعًا لا نوافق ابن المِبرَد على ما قاله من هذه العبارات، ونَنهَى عن أن تَجرِي بمِثل تلك العبارات أقلامُ المصنِّفين في ردودهم على أهل العِلم، لا سيما المشاهير منهم الذين اتفق الجميع على فضلهم وعِلمهم وقد انتفع العِلمُ وأهلُه

---

(١) «**جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر**» لابن المبرد (ص١٩٤).

بهم في الجملة، ولكنَّا نَعُدُّها من زلَّات العلماء وهفواتهم المغفورة بإذن الله في كثير محاسنهم، وكمَا يقول الحافظ الذهبي: «وإنما العِبرة بكثرة المحاسن»[(١)].

وإذا تقرَّر أن هذا من ابن المِبرَد من الهفوات والزلَّات التي لا يَسلَم منها أحدٌ في الغالب، فلا بأس أن نبيِّن سبب وقوعه في هذا في نظرنا، فنقول: إن سبب وقوعه في هذا في رأينا يَرجِع إلى:

١- هذا النزاع المستمِر بين الحنابلة والأشاعرة، فقد كانت النزاعات بينهما محتدِمة، لا سيما بعد أن أصبح للأشاعرة السطوة والسلطان وكثرة الأتباع، إذ طال بعد ذلك الأذى منهم الحنابلةَ، وهذا ما يُبيِّنه قول ابن المِبرَد نفسه في كتابه **«كشف الغِطا عن محض الخَطا»**: «وقد أعظَم الله ﷻ البَليَّة بالأشعرية، حتى صار أتباعه غالِبَ الشافعية وطوائف من المذاهب الأربعة، وكَثُر الأذى بهم لا سيما في زمن شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية...، ثُمَّ كَثُر ذلك وعَمَّ وانتشر في زمننا، حتى عاد ذلك هو المُتظاهَر به، وذلك لقوَّة شوكتهم...»[(٢)].

٢- المنافرة الخاصة بين المقادسة وابن عساكر، فقد كان بينهما منازَعة ومنافرة تسبَّبت في إحداث الهجران بينهما[(٣)]، وهذا بسبب مناصرة ابن عساكر للأشاعرة والإعلاء من شأنهم، وابنُ المِبرَد مقدسي صالحي وارثٌ عِلم المقادسة وديارهم، فانتقلت إليه هذه المنافرة الشديدة من الأشاعرة من أسلافه المقادسة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ٤٦).

(٢) «كشف الغطا عن محض الخطا» لابن المبرد (ص١٥٢، ١٥٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٦٨).

فهذان الأمران في رأينا هُما السببان الرئيسان في صدور هذا من ابن المِبرَد، ولكن ثمة سببٌ ثالثٌ يُمكِن أن يَكُون مشارِكًا للسببين السابقين، وهو أن ابن المِبرَد قد ألَّف كتابه «**جمع الجيوش**» في عنفوان شَبَابه، إذ قد فرَغ من تأليفه في ٢١ من شهر ذي الحجة سنة (٨٧٦هـ)[١]، وولادتُه كمَا تقدَّم في أول سنة (٨٤١هـ)، فيَكُون سِنُّه حين ألَّفه ٣٥ سنةً، ولا شك أن العالِم في فترة شبابه قد تَصدُر منه أمور لا تَصدُر منه في حال ما بعد الشباب التي يَكتمِل معها الرأي والحِجَا.

هذا بالإضافة إلى أن هذا منه ردُّ فعلٍ؛ إذ قال ذلك في مَعرِض الردِّ على ما قاله الحافظ ابن عساكر، وفي مثل هذا الموقف قد تَصدُر مِثل هذه العبارات القاسية من أهل العلم.

وعلى كلٍّ، فإن مِثل هذه العبارات الشديدة التي قالها ابن المِبرَد في أبي الحسن الأشعري والأشاعرة= قد قيل مِثلها في الجملة ممَّن هو أجلُّ من ابن المِبرَد وأعلمُ، وهو الإمام ابن قدامة في كتبه العقدية، مثل: «**البرهان في مسألة القرآن**»، و«**تحريم النظر في كتب علم الكلام**»، و«**المناظرة في القرآن**» وغيرها.

وكذلك لم يَخْلُ مذهبٌ أو طائفةٌ أو فِرقةٌ من علماء قد صدَر منهم مِثل ذلك، ولكن لم يَجعَل العلماء صدور هذا منهم مسقِطًا لهم أو طاعنًا في عدالتهم، ولكن جعَلوا هذا من باب الهفوات والزلَّات المغمورة في كثير فضائلهم.

---

(١) راجع: «**جمع الجيوش**» (ص٤٧٨).

ولهذا فإننا مع رفضنا القاطع أن تقال مِثل هذه العبارات في حق الأئمة الأعلام، إلَّا أننا نَعُدُّ هذا من ابن المِبرَد من الهفوات التي تُغفَر في كثير محاسنه، ولا نَضَع من شأنه وقدره من أجل هذا، ولا نَصِفه بعبارات لا تليق كما وصَفه بها الدكتور الشريف حاتم العوني، إذ قابل عبارة ابن المِبرَد في ابن عساكر بعبارة أشدَّ، إذ وصَف ابن المِبرَد بانعدام الذوق وسوء الأدب والتعصب(١).

وما كان يَنبغِي لمِثله -غفَر الله له- أن يَصدُر منه مِثل هذا، ولو ذهَبنا نقابل ما يَصدُر من العلماء من هفوات وأخطاء بمِثل ما قال الدكتور؛ لَطُعِن في عدد غير قليل من علمائنا الكِبار في سائر العلوم الشرعيات، ولَكادت تَذهَب هيبة العلماء من قلوب المشتغلين بالعِلم، بَلْهَ أن تَذهَب من قلوب غيرهم من العامَّة، ولا شك أن هذه سبيل غير معبَّدة، لا تُساعد على السَّيْر فيها تصرُّفات العلماء مع ما يَصدُر عن أهل العِلم من هفوات وزلَّات.

ولم يَكتفِ الدكتور بوصف ابن المِبرَد بهذه العبارة غير اللائقة، بل طعَن في عدالته وقبولِ ما يَنقُل، وذلك لأن ابن المِبرَد قد أَورَد في كتابه أحاديث موضوعة، يَنتَصِر بها لمذهبه(٢).

وإن كان العلماء قد منَعوا من رواية الحديث الموضوع إذا لم يُبيِّن حُكمه، إلا أن فاعل ذلك -لا سيما إن كان ممَّن اتفق الناس على عدالتهم وعُلُو مكانتهم- لا يُوصَف أبدًا بما وصَف به الدكتور عفا الله عنه ابنَ المِبرَد، وإلَّا فليَقُل مِثلَ ما

---

(١) ذكَر ذلك في منشور له على الفيس بوك بتاريخ ٩/ ٩/ ٢٠١٥م https://www.facebook.com/Al3uny/.

(٢) السابق نفسه.

قال في حقِّ الحافظ ابن عساكر نفسه الذي يُدافع عنه ضد ابن المِبرَد؛ فقد احتجَّ ابن عساكر -كما يقول تقي الدين ابن تيمية- بحديث موضوع في الجزء الذي أملاه في «**نفي الجهة**»، وهو حديث: «**الذي أَيَّنَ الأَيْنَ، فلا يُقالُ له: أَيْنَ**»(١).

وليس هذا فحسب، بل عليه أن يقول هذا في ابن عساكر وفي غيره من الأئمة الحُفَّاظ، فقد قال الشمس الذهبي في ترجمة ابن عساكر في «**تاريخ الإسلام**»: «وهو مع جلالته وحِفظه يروي الأحاديث الواهية والموضوعة ولا يُبيِّنها، وكذا كان عامَّة الحُفَّاظ الذين بعد القرون الثلاثة، إلَّا مَن شاء ربُّكَ؛ فلَيَسألَنَّهم اللَّهُ تعالى عن ذلك»(٢).

قلتُ: قارِن بين ما قاله الذهبي وما قاله الدكتور؛ يَظهَر لك ما أَردْنا تقريره.

أضف إلى هذا أن أئمة المذهب الحنبلي على خلاف ما يُرِيده الدكتور؛ فقد وثَقوا في نقل ابن المِبرَد، ونقَلوا من كتبه في كتبهم التي عليها مدار التدريس والفتوى، مثل البهوتي في كتابيه «**كشاف القناع**»، و«**المنح الشافيات**»(٣)، والخَلْوَتي في «**حاشيته على منتهى الإيرادات**»(٤) وغيرهم من أصحاب الشروح والحواشي من كِبار محقِّقي المَذهَب! ونقلُهم عنه إنما كان فيما يَتعلَّق بأحكام الله للمكلَّفين!

---

(١) راجع: «**درء تعارض العقل والنقل**» لابن تيمية (٥/ ٢٢٥).

(٢) «**تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام**» للذهبي (١٢/ ٤٩٣).

(٣) راجع: «**كشاف القناع عن متن الإقناع**» للبهوتي (٣/ ٤٧٤)، (٤/ ٦، ١٤، ٤١٦)، و«**المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد**» له (٢/ ٨١٠).

(٤) راجع: «**حاشية الخلوتي على منتهى الإيرادات**» (٤/ ٥٠٧).

وكذلك اعتمد المؤرِّخون بعدَه كلامَه ونقَلوا عنه، مثل ابن طولون في **«تاريخ الصالحية»**[1]، و**«مفاكهة الخلان في حوادث الزمان»**[2]، و**«متعة الأذهان»** وغيرها من كُتب التاريخ والتراجم، وهي كتبٌ عُمَدٌ في الفترة الزمنية التي عرَضت لها؛ من جهة ذِكر حوادثها والترجمة لأعلامها.

(١) راجع ما ذكَره محقِّق **«القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»** (ص٣٣) لابن طولون عن نقله عن شيخه ابن المبرد.

(٢) راجع: **«مفاكهة الخلان في حوادث الزمان»** لابن طولون (١/ ١٣٨، ١٤٨).

مؤلَّفاته

اشتهر ابن المِبرَد بكثرة التصنيف، وقد أشار إلى ذلك تلميذه أبو القاسم الوآدي آشي كمَا في السماع الذي بخطِّه في نهاية كتابنا «**تهذيب النفس**» في قوله: «سمِعتُ من لفظِ سيدنا...المكثِرِ ذي التصانيف العديدة والتآليف المفيدة».

فقد كان مقبِلًا على التصنيف كمَا يقول تلميذه ابن طولون وغيره[١]، حتى بلَغت مصنَّفاته ما يزيد على أربع مئة مصنَّف[٢]، أغلبها أجزاء[٣]، ومعظمها موجودة بخطِّه في المكتبة الظاهرية.

وقد ساعَده على ذلك كثرة محفوظه[٤] وسيلان ذهنه وقلمه، ويَدُلُّ عليه قوله في أثناء ردِّه على الحافظ ابن عساكر: «ولو أردتُ التخفيق عليه بالأحاديث والأشعار لَمَا غَلَبني في ذلك؛ فإني بحمد الله إذا وضعتُ قلمي في ذلك جَرَى الغاية القُصوى»[٥].

ولهذا مدَحه أحمد بن محمد بن عتبة الشافعي -الظاهر أنه من تلامذة

---

(١) راجع: «**السحب الوابلة**» (٣/ ١١٦٨)، و«**العنوان**» (ق١٦/ ظ)، و«**فهرس الفهارس**» (٢/ ١١٤١).

(٢) راجع: «**النعت الأكمل**» (ص٦٩).

(٣) راجع: «**مختصر طبقات الحنابلة**» (ص٨٦).

(٤) راجع في ذلك ما ذكَره ابن المبرد في مقدمة كتابه «**زبد العلوم**» (١/ ١٢٧).

(٥) «**جمع الجيوش**» (ص٤٨٠).

ابن المِبرَد- كما جاء بخطِّه في نهاية مخطوط «**الأربعون المسلسلات من حديث سيد السادات** ﷺ»[(١)] لابن المِبرَد، بعد أن وصَفه بأنه الشيخ العلَّامة نادرة الزمان وحافظ العصر وشيخ الإسلام؛ بقوله: [الكامل]

يَرْوِي الحديثَ مُحرَّرًا من حفظِه ... وأرَى «المحرَّر» لابن عبد الهادي
وإذا نظَرتَ إلى الحديثِ فإنَّه ... فِيْهِ كأحمدَ بَيْنَ أهلِ[(٢)] النَّادي

إلَّا أن بعضهم قد انتَقد مؤلَّفات ابن المِبرَد من جهة أنها غير محرَّرة؛ إذ قال عبد القادر النُّعيمي (ت٩٢٧هـ) عنه: «وقد صنَّف كثيرًا من غير تحرير»[(٣)].

لكن تعميم النُّعيمي فيه نظر، إذ لابن المِبرَد تصانيف في غاية التحرير والإتقان والإفادة، ولهذا تعقَّبه صاحب «**السحب الوابلة**» بقوله: «بل له تصانيفه في غاية التحرير؛ منها...»، ثُمَّ ذكَر أسماء بعض هذه المصنَّفات، وبمِثل هذا استدرَك الدكتور عبد الرحمن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على النُّعيمي بقوله: «من خلال اطلاعي على كثير من مؤلَّفات ابن عبد الهادي أقول: إن بعض مؤلَّفاته مُراجَعة مُتقَنة مُحكَمة التأليف؛ مِثل...، لكن كثيرًا من مؤلَّفاته أيضًا هي كمَا وصَف النُّعيميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ غيرُ مُحرَّرة ولا مُراجَعة؛ لأنه لم يَفرُغ لمراجعتها واستيفائها»[(٤)].

---

(١) نقلًا عن «**الفهرس الوصفي للنسخ الخطية لمؤلَّفات يوسف بن عبد الهادي**» (ص٢٦).

(٢) مكتوب بخطِّ الكاتب نفسه فوق كلمة (أهل) في الأصل الخطِّي كلمةُ (ذاك)؛ فهل أراد إلحاقها ضمن البيت، أم وضَعها بيانًا وإيضاحًا لمراده، لا أتحقَّق ذلك، لكن إلحاقها يَكسِر وزن هذا الشطر من البيت.

(٣) «**العنوان**» له (ق١٦/ ظ).

(٤) من مقدمة تحقيقه لـ«**الجوهر المنضد**» (ص٢١).

ولهذا فإن قول الدكتور الشريف حاتم العوني بأنه لا يَعرِف في كتب ابن عبد الهادي كتابًا محرَّرًا أو قريبًا من التحرير(١)= قولٌ يَنقُصه التحرير.

ولم يَكتَفِ الدكتور بقوله هذا، بل قال أيضًا: إن عامَّة كتب ابن المِبرَد تافهة قليلة النفع(٢).

فنقول: مع التنزُّل في قبول أن الدكتور قد قرَأ عامَّة كتبه، والتي قد ذكَرنا لك قبلُ أنها تَزِيد عن أربع مئة كتابٍ ومعظمها ما زال مخطوطًا لم يُطبَع، وعدد غير قليل منها في عِداد المفقود، ومع التنزُّل أيضًا في أن تخصُّص الدكتور يؤهِّله لأنْ يَحكُم على كُتب ابن المِبرَد في مختلف الفنون التي كتَب فيها! فإن قضية نفعِ الكتب وعدم نفعها تَحكُمها أمور، منها: معرفة مقصد المؤلِّف مِن وضعها، ومعرفة أنماط التأليف السائدة في عصر المؤلِّف. فبمحاكمة الكُتب إلى هذا نستطيع بعدَها أن نُصدِر الحُكم بنفعها أو عدم نفعها.

فقد كان العصر الذي يَعيش فيه ابن المِبرَد يَكثُر فيه هذا النمط من التأليف، وهو: الانتقاء والاختصار والتخريج وغير ذلك من هذه الأنواع كما نَصَّ عليها ابن طولون الذي شارك بكثرة فيها(٣)، وكثيرٌ من أعلام هذا العصر كانوا يَكتُبون في هذه الأنماط، ومن هؤلاء السيوطي (ت٩١١هـ)، وابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، وغيرهما، ولم يَقُل أحدٌ إن رسائل هؤلاء الأعلام تافهة قليلة الفائدة! هذا أيضًا مع التنزُّل في قبول القول بأن عامَّة كُتب ابن المِبرَد على ما

(١) ذكَر ذلك في منشور له على الفيس بوك بتاريخ ٩/ ٩/ ٢٠١٧م https://www.facebook.com/Al3uny/.

(٢) ذكَر ذلك ضِمن تعليقاته على منشوره على الفيس بوك بتاريخ ٩/ ٩/ ٢٠١٥م.

(٣) راجع: «**الفلك المشحون**» (ص٧٣).

قال الدكتور، وإلَّا فإنها ليست كذلك كمَا نبَّهناك قبلُ، فلا تَغفُل!

وهذه الأنواع من التصنيف ليست مقاصدها واحدة، ولا يُطلَب فيها تناوُل دقيق المسائل، ولا عرضُ عويصِ العِلم ومباحثه المُشكَلة، فهي أَشبَه بالتصنيف التحصيلي، وكونها لا تُفِيد الدكتور، فهذا لا يَعنِي أنها تافهة في حقيقة الأمر، لأن هذا حُكمٌ عن طريق أمر عارضٍ ليس من ذاتيات الأمر، بالإضافة إلى أنه حُكمٌ لم يَعتبِر الدكتور ولم يَستصحِب في أثناء تقريره عِلَّتَه ومَقصِدَه.

وقد تَقدَّم أن الذين ترجموا لابن المِبرَد كانوا على عِلم بأن أغلب كُتبه أجزاء، ولم يَقُل أحدٌ منهم بما قال به الدكتور! إلَّا أن الدكتور لا يَعبأ بما يَذكُره أصحاب التراجم في ابن المِبرَد نصًّا بله أن يَعبأ بإيماءاتهم، إذ رأيناه يقول: ولن تغرني عامَّة عبارات الثناء الكبيرة التي جاءت في ترجمته. انتهى.

وذلك لأن الدكتور قد وضَع منهجًا خاصًّا به في قبول الثناء الذي يَذكُره المترجِمون في حق العلماء الذين يُترجِمون لهم! وهو الذي يُبيِّنه قوله: لا أُعوِّل كثيرًا على ثناء كُتب التراجم على المترجَمين فيها، ولا أَكتفِي بها لمعرفة أقدار العلماء. وكلَّما تأخَّر المترجِم كلَّما كان أبعدَ عن التعويل عليه، وأَولَى بعدم الالتفات إلى أكثر الثناء الصادر منه. ولذلك استعضتُ بشواهد الوجود لمعرفة أقدار العلماء، ما أمكنني ذلك، وأقصد بشواهد الوجود: النتاج العلمي الموجود بين أيدينا؛ فلم أر مِثل نتاج العالِم دليلًا على مكانته العلمية صدقًا ودِقةً وقوةَ إثبات. انتهى كلامه(١).

---

(١) في منشور له على الفيس بوك بتاريخ ٩/٩/٢٠١٧م https://www.facebook.com/Al3uny/.

فنقول وبالله التوفيق والعَون: هذا الكلام فيه مغالطات، ونكوصٌ عن مناهج العِلم والعلماء، وبيان ذلك في النقاط التالية:

١- أمَّا ما ذهَب إليه من عدم التعويل على ما في كُتب التراجم من الثناء على العلماء، فإن كان الدكتور يَقصِد المبالغة في الثناء مع قبول أصل الثناء، فهذه يُمكِن أن نَغضَّ الطَّرْف عنه، أمَّا إن كان يَقصِد عدم قبول أصل الثناء وأن هؤلاء المترجِمين قد أغفلوا جوانب غير محمودة في حياة المترجَم له، أو أنهم أثنوا عليه بما لا يَستحِق، أو أنه لم يَكُن في العِلم كمَا أَخبَروا، فهذا لازِمه الطعن في عدالة هؤلاء المترجِمين، لأن ما قالوه من الثناء إنما هو شهادة منهم في حقِّ المترجَم له، فعدمُ ذِكرهم ما يُخالِف ما قالوه من ثناء في حقِّه أو إغفاله وهو مستحِقٌّ له= طعنٌ في عدالتهم ولا بُدَّ!

هذا مع انتفاء شُبَه المُحاباة أيضًا؛ كاختلاف المذاهب وتباعُد الأعصار وغير ذلك. وإن كان الاعتراض بالمُحاباة مع اتفاق المَذهَب أو العصر أو غير ذلك ممَّا قد يَدُلُّ على المحاباة؛ غير مقبول مع ثبوت صفة العِلم والعدالة للمترجِم، إلَّا بقرائن ظاهرة غير محتملة؛ لفساد لازم قبول هذا الاعتراض، وهو بَيِّنٌ!

وقارِن معي بين ما قاله الدكتور حفظه الله وما ذكَره الدكتور الطناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يقال من ثناء على العلماء في كُتب التراجم، وذلك في قوله: «ولا تَحمِلنَّ هذه الأوصاف التي تقرأها عن الرَّجُل على المبالغة والاسترسال، كمَا يَظُنُّ من لا عقول لهم ولا اطِّلاع[1]؛ فإن هذه الأوصاف -فوق أنها حقُّ صاحبها-

---

(١) لا نَقصِد -وحاشانا- أن نَصِف الدكتور بهذا الوصف الذي في كلام العلَّامة الطناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالدكتور حفظه الله قامة علمية كبيرة، جليلٌ في أعيننا، ولكننا نقلنا كلام الدكتور الطناحي لأنه كلام رجل ذي خبرة تامَّة بهذا الأمر.

تؤكِّد الثقةَ بهذه العلوم والمعارف التي نقَلها لنا القومُ روايةً أو كتابةً. وعلى الجانب الآخر فقد كان علماؤنا ومؤرِّخونا يُنبِّهون على من ليسوا محل ثقة من العلماء والمصنِّفين، إرشادًا وتحذيرًا مِن التعويل عليهم والاغترار بهم، وكانوا يَشتدُّون في ذلك ويَعنُفُون، ولا يمنعهم من ذلك قَرابةٌ أو جِوار. قال جعفر بن محمد القلانسي: سمعتُ محمد بن أبي السَّرِي يقول: لا تَكتبوا عن أخي فإنه كذَّاب- يَعنِي الحسين بن أبي السَّرِي»[1].

٢- قوله: وكلَّما تأخَّر المترجِم كلَّما كان أبعدَ عن التعويل عليه...إلخ، قلتُ: هذا كلام غير محرَّر ولا منضبِط؛ لأن التأخُّر في الزمان لا دخلَ له ابتداءً في الحُكم على المترجِم، وإنما التعويل على العدالة والمَعرِفة؛ فالمترجِم الذي يُترجِم لشيخه أو معاصره، لا يقال عنه إنه متأخِّر، فهو كالمتقدِّم الذي يُترجِم لمَن في زمانه أو مَن هو قريب من زمانه، وما من متقدِّم إلا وهو متأخِّر بالنسبة لِمن سبَقه، وعلى هذا فلن يُعوِّل أهلُ كلِّ زمان على ما جاء من أوصاف وأحكام في حقِّ المترجَم لهم في الكتب المتأخِّرة بالنسبة إليهم، وهل رأيتَ أحدًا قال بهذا من أئمة أهل العِلم؟!

٣- قوله: ولذلك استعضتُ بشواهد الوجود لمعرفة أقدار العلماء...إلخ.

وهذا الكلام فيه نظرٌ من جهتين:

الجهة الأُولى: أنه جعَل ما ترَكه العالِم من مصنَّفات هو الدليل الأصدق والأدق في معرفة مكانته العلمية. فلو تَنزَّلنا مع الدكتور في قبول هذا في

(١) من مقدمة تحقيق الدكتور الطناحي رَحِمَهُ اللهُ لكتاب «**أعمار الأعيان**» لابن الجوزي (ص٢٧، هامش رقم٢).

الجملة، وإلَّا ففيه نظر ومُباحَثة! فإننا نقول هذا كلام مُجمَل يَحتاج إلى تفصيلٍ وبيان؛ فإن كانت المصنَّفات من نوعِ المصنَّفات التي تتكلَّم في مُلَح العِلم، وليس من شأنها التعرُّض لدقيق المسائل وكبارها، وما يَجرِي مجرى هذا النمط من المصنَّفات أو ما يأخذ حُكمها، فمِثل هذه المصنَّفات لا تَكُون سبيلًا لمَعرِفة مكانة العالم العلمية من خلالها.

وكتبُ ابن المِبرَد التي هي من نمط الانتقاء والاختصار والتخريج داخلةٌ في هذا، فهي أَشبَه بالتصنيف التحصيلي! وأمَّا إذا أُضيف إلى هذا النمط من المصنَّفات نوعٌ آخَر، وهو الذي يَتعرَّض لمسائل العِلم الرئيسة، فهذه يَصِحُّ أن يؤخذ منها الحُكم على مؤلِّفها، وقد بان لك أن ابن المِبرَد له مؤلَّفات من هذا النمط في مختلَف الفنون، وقد اعتمد عليها أهلُ هذه الفنون؛ فاستفادوا منها، ونقَلوا عنها.

فإذا أُضِيف إلى ذلك شهادات العلماء لهذا العالِم، فهذه هي الغاية التي يُسعَى إليها، وقد أَرَيناك قُبَيل هذا المَوضِع بعض شهادات أهل العِلم في حقِّ ابن المِبرَد.

الجهة الثانية: أنَّ ترْك الدكتور شهادات تلامذة ابن المِبرَد ومعاصريه، ومنهم العلماء الأثبات الذين أخذوا عنه، ولازَموه، وتَحمَّلوا عنه كُتبَه؛ كابن طولون وأبي القاسم الوآدي آشي وغيرهما، وكذا ترْكه شهادات أصحاب كُتب التراجم التي ترجمت له، وتعويله على ما أدَّاه إليه عِلمه من خلال النظر في بعض كتب ابن المِبرَد= فبجانب أن هذا فيه نظر شديد كمَا سبَق، فإنه كذلك يَعنِي أن الدكتور يَجعَل عقله فوق عقول كلِّ هؤلاء، ويُقدِّم فَهمه على

أفهامهم! وهذا كمَا لا يَخفَى فيه ما فيه، وقد كان كثيرٌ من العلماء لا سيما أهل التحقيق منهم على مرِّ العصور يأبَون أن يُنسَبوا إلى مِثل هذا، ويَجعَلونه من العَيب وعدم التحقيق!

وإذا تبيَّن ما سبَق فإننا نَرَى قول الدكتور عن ابن المِبرَد إنه مِن أقلِّ الحنابلة عِلمًا وأدبًا(١)= قولًا ظالِمًا جائرًا، لم يأتِ الدكتور في تأييده ببُرهان، ولا أقام عليه دليلًا، وإنما هو قائم على مجرَّد شُبهة عند الدكتور فقط، وإلَّا فهي ليست بشُبهة في حقيقة الأمر كمَا تَبيَّن لك، فـ«الرجل يُعرَف بكُتبه التي تناقلها الطلبة واشتغلوا بها، ويُعرَف كذلك بمكانته بين أهل عصره، وليت شعري هل كان أُولُو الشأن من الحنابلة حِفنة من الحمقى والمغفلين والمداهنين إذ تَركُوا رجلًا من أقلِّهم شأنًا وعلمًا! يُدرِّس في الجامع الأموي، بل يُدرِّس في المدرسة العُمرية التي هي جامعة الحنابلة، بل يَتولَّى نِظارتها، فضلًا عن تدريسه في الأشرفية والضيائية، فضلًا عن تصديه للفتوى، بل كان يأذَن لطُلَّابه بالفتوى والتدريس.

وكذلك يُعرَف بتخرُّج العلماء الأكابر عليه، ويَكفِيه ابن طولون تلميذه الوفي، وكذا الماتاني المحدِّث الكبير (ت٩٢٣هـ)، والعلامة الكبير الإمام الشهاب الشُّوَيْكِي الحنبلي (ت٩٣٩هـ)، من أعمدة المذهب، وكذا الإمام العلامة، شيخ حنابلة نَجْد في زمانه، ابن عَطْوَة (ت٩٤٨هـ)، وغيرهم.

وكم حفِظ لنا التاريخ أسماء قوم من العلماء ما صنَّفوا كتابًا واحدًا يَستدِلُّ به الدكتور على مكانتهم! لكن هُم مَن صنَعوا الرجال الذين سطَرت أيديهم

(١) ذكَر ذلك ضِمن تعليقاته على منشور له على الفيس بوك بتاريخ ٩/ ٩/ ٢٠١٥م.

الكتبَ التي سارت بها الرُّكبان شرقًا وغربًا، ولولاهم ما كانت الكتب ولا كاتبوها»(١)(٢).

ونُنهي كلامنا مع الدكتور الكريم حفظه الله بكلمة لابن القَيِّم تُعَدُّ قانونًا في كيفية التعامُل مع ما يَقَع فيه العلماء من زلَّات، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَن له عِلم بالشرع والواقع يَعلَم قطعًا أن الرَّجُل الجليل الذي له في الإسلام قَدَمٌ صالِح وآثارٌ حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تَكُون منه الهفوة والزَّلَّة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده؛ فلا يَجُوز أن يُتَّبَع فيها، **ولا يَجُوز أن تُهدَر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين**»(٣).

وبعد هذه الإطالة، نعود إلى الكلام عن مؤلَّفات ابن المِبرَد؛ فقد صنَّف ابن المِبرَد في أكثر من فنٍّ، في الفقه، والأصلين، والقواعد الفقهية، والحديث، والتاريخ، والسلوك والتصوُّف، والنحو والطب، وغير ذلك.

وقد تَكلَّم أكثر من باحثٍ على مصنَّفات ابن المِبرَد مع النَّصِّ على ما طُبِع منها وما لم يُطبَع، وغير ذلك من تفاصيل، ولهذا فقد رأينا ألَّا نُعيد هذا الذي تكلَّموا فيه؛ لأنه تسويدٌ للأوراق من غير كبير فائدة، ولهذا فسنكتفِي بذِكر

---

(١) من كلام أخينا الفاضل كريم حلمي الحنبلي، بعَث به إليَّ عندما أرسلتُ ردِّي هذا إليه؛ ليَنظُر فيه. جزاه الله خير الجزاء ونفع بنا وبه.

(٢) راجع هذه المعلومات المذكورة في كلاما أخينا في: «**القلائد الجوهرية**» (١/ ٢٤٨، ٢٥٩)، و«**المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية**» لابن كنان (ص١٠٧، ١٠٨)، و«**الإمام يوسف بن عبد الهادي (ابن المبرد الصالحي): عصره وآثاره الفقهية وتحقيق رسالة: سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث**»، صفوت عادل حبيب (ص٥٨).

(٣) «**أعلام الموقعين عن رب العالمين**» لابن القيم (٤/ ٢٢٤).

مصنَّفات ابن المِبرَد التي تَدخُل ضِمن موضوع كتابنا؛ فنَذكُر كُتبه التي تتكلَّم عن الآداب والسلوك والتصوُّف والوعظ وما يَمُتُّ إلى ذلك بصِلة، فنَذكُر المخطوط منها والمطبوع وما هو في عِداد المفقود، فقد يَكُون ذلك مفيدًا لمَن أراد أن يَقِف على جهد ابن المِبرَد في هذا الجانب من العِلم.

أوَّلًا: كُتبه المطبوعة:

١- أدب المرتعى في علم الدُّعَا[١].

٢- إرشاد الحائر إلى علم الكبائر[٢].

٣- إرشاد المَلا إلى أن مَن عرَف الناس خُصَّ بالبَلَا[٣].

٤- الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور[٤].

٥- بدء العلقة بلبس الخرقة[٥].

---

(١) حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه/ محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٢) تحقيق وتعليق/ الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ضِمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام (٥٩).

(٣) قرأه وعلَّق عليه/ عمار تمالت، نُشِر في مجلة الإصلاح التي تصدر عن دار الفضيلة، الجزائر، السنة الحادية عشرة، العدد السابع والخمسون، ذو القعدة/ ذو الحجة ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م. صفحة (٤٨-٥٢).

(٤) اعتناء وتخريج/ محمد زياد عمر تكلة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ضمن جمهرة الأجزاء الحديثية.

(٥) حقِّق مرتين؛ الأولى تقديم وتحقيق/ الدكتور إحسان ذنون الثامري، والدكتور محمد عبد الله القدحات، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٢م. ضمن رسائل من التراث الصوفي في لبس الخرقة، وهي المعتمدة في تحقيقنا هذا. والثانية تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ☜

٦- تهذيب النفس للعلم وبالعلم.

وسيأتي الكلام مفصَّلًا عن هذه المطبوعة.

٧- زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم(١).

جمَع فيه ابن المِبرَد كل العلوم المتداولة في عصره باختصار، فكان ممَّا تَكلَّم فيه التصوُّف، والآداب الشرعية، والحِكم والمواعظ.

٨- صب الخمول على مَن وصَل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله(٢).

٩- فضيلة إنظار المُعسِر(٣).

١٠- مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان(٤).

١١- معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام(٥).

ثانيًا: كُتبه المخطوطة:

١- الإرشاد إلى حكم موت الأولاد(٦).

٢- أوراق في التصوُّف(٧).

١٤٢٩هـ، ضمن كتاب لُبس الخرقة في السلوك الصوفي.

(١) تحقيق/ أ.د. عبد الله حسين الموجان، مركز الكون، جدة، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٢) إشراف/ نور الدين طالب، دار النوادر، سورية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٣) دراسة وتحقيق/ أ.د. رضوان بن مختار بن غربية، نُشِر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ربيع الأول، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م. صفحة (١٤٣-١٩٢).

(٤) تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

(٥) إشراف/ نور الدين طالب، دار النوادر، سورية، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٦) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٣٢١٤.

(٧) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٣٢٤٩/ ٤.

٣- رسالة في فضل العلم(١).

٤- عظيم المنة بنزه الجنة(٢).

٥- فضل لا حول ولا قوة إلا بالله(٣).

٦- مقدمة في التصوُّف(٤).

٧- النجاة بحمد الله(٥).

٨- وقوع البلاء بالبخل والبخلاء(٦).

ثالثًا: كُتبه المفقودة(٧):

١- احتساب الكاغد والحبر.

٢- أدب العالم والمتعلم.

٣- أدب المريض.

---

(١) منه نسخة بالمكتبة الظاهرية ضمن مجموع رقمه ٤٥ أدب، بخط المؤلِّف. راجع: «ثمار المقاصد» (ص٤٥).

(٢) منه نسخة بالمكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٣٢١٦.

(٣) منه نسخة بالمكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٤٥٥٨.

(٤) منه صورة في مكتبة الجامعة الإسلامية تحت رقم ١٠٥٢. راجع: «**زبد العلوم**» (١/ ٧٩).

(٥) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٣٢١٦ت١٥.

(٦) منه نسخة في المكتبة الظاهرية بخط المؤلِّف، رقم ٣٢١١.

(٧) وهذه الكتب إمَّا أن يكون قد نسبها ابن المبرد إلى نفسه في «**فهرست الكتب**»، وإمَّا أن يكون قد نسبها أصحاب كتب التراجم إليه، وانظر في ذلك على الترتيب الذي وضعناه «**معجم مصنَّفات الحنابلة**» للأستاذ الدكتور/ عبد الله الطريقي -وما لم أجده في هذا الكتاب نصصتُ على المرجع الذي أخذتُه عنه-، (٥/ ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٩، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٩٠، ٩٧، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧).

٤- الأذكار.

٥- أربعون أسماء المهاجرين لله.

٦- الأربعون من أعمال الأبرار.

٧- إرشاد الأخيار[١].

٨- إرشاد الحريص[٢].

٩- إرشاد المثابر[٣].

١٠- إرشاد المريد.

١١- أنس النفوس.

١٢- تفريج القلوب.

١٣- التقرير وطلب الرزق من الخبايا.

١٤- التواضع والنشر.

١٥- الثمانية الربانية[٤].

١٦- الحزن والكمد.

١٧- حسن السير.

١٨- حسن الكد والإنذار.

---

(١) «فهرست الكتب» (ق١١/ و).

(٢) السابق نفسه.

(٣) «فهرست الكتب» (ق١٣/ ظ).

(٤) «فهرست الكتب» (ق١٣/ و).

١٩- حسن المقال.

٢٠- صبر المحتاج.

٢١- صدق الوعود.

٢٢- صدق التشوُّف إلى علم التصوُّف.

٢٣- صفة المؤمن والإيمان[١].

٢٤- العِلم.

٢٥- طبع الكرام[٢].

٢٦- فضل سقي الماء.

٢٧- فضل صوم شهر شوال.

٢٨- فضل العالم العفيف.

٢٩- لذة الموت.

٣٠- المتحابون.

٣١- مختصر ذم الهوى.

٣٢- الناس وتأذي الأبرار.

٣٣- الندب والنياحة.

٣٤- الهم والنكد.

---

(١) «فهرست الكتب» (ق١٥/ ظ).

(٢) «فهرست الكتب» (ق١١/ و).

٣٥- الهناء والشدة.

٣٦- الوصايا المهدية.

٣٧- الوقوف على لبس الصوف.

ويَظهَر من هذا العدد لهذه الكُتب اعتناءُ ابن المِبرَد بجانب الوعظ والآداب والسلوك وتهذيب النفس، وهو مصداق ما قرَّرناه في كلامنا عن صفاته من أنه كان زاهدًا عابدًا معتنِيًا بإصلاح ما فسَد من أخلاق الناس والمجتمع، فجاءت مصنَّفاته معبِّرةً عن همومه واهتماماته.



وفاته

وبعد حياة حافِلة بالتدريس، والتحديث، والتصنيف، والإفتاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جاء أمر الله إلى ابن المِبرَد، فتُوفِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الاثنين سادس عشر شهر المُحرَّم سنة (٩٠٩هـ)، ودُفِن بسفح قاسِيُون، وكانت جِنازته حافِلة(١).



(١) راجع: «متعة الأذهان» (٢/ ٨٣٨)، و«الكواكب السائرة» (١/ ٣١٧)، و«شذرات الذهب» (١٠/ ٦٢)، و«مختصر طبقات الحنابلة» (ص٨٣)، و«السحب الوابلة» (٣/ ١١٦٦).

مدخل إلى

كتاب «تهذيب النفس»

التَّعريف

بآداب العالم والمتعلم

إن من الأمور الجليلة التي انفرد بها الإسلام عن سائر الأديان= هو تنويهه بفضل العِلم والحث على الاتصاف به وتحصيله[١]، ولهذا كثُرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وغير هذه الآيات.

ومن السُّنة قوله ﷺ «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[٢]، وقوله: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»[٢]. والأحاديثُ النبوية والآثار السلفية في بيان هذا كثيرةٌ جدًّا.

وقد اعتنى أهل العِلم بالتفصيل في بيان هذا الأمر في سائر مصنَّفاتهم، بل أَفرَدوه بالتصنيف، وما كان هذا الاعتناء إلَّا لِكَون العِلم في الأساس هو مَعرِفةٌ لِمَا تَعبَّد الله تعالى به عباده في كتابه وسُنة نبيِّه ﷺ، والوقوف على أسرار كلامه ﷻ وكلام رسوله ﷺ[٣].

---

(١) راجع: «**أليس الصبح بقريب**» للطاهر ابن عاشور (ص٢٧).

(٢) سيأتي تخريجه في موضعه من النص المحقَّق.

(٣) راجع: «**أدب الطلب ومنتهى الأرب**» للشوكاني (ص٢٤).

ولمَّا كانت هذه هي مكانة العِلم والعلماء، حرَص أهل العِلم على بيان ما يَنبغِي أن يَتحلَّى به طالِب هذا العِلم والعالِم به؛ مِن آداب وأخلاق قد أشارت إليها نصوص الشريعة. وهذا الاعتناء بهذه الآداب والتصنيف فيها قد بدأ في وقت مبكر؛ في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وذلك برسالة الإمام أبي حنيفة إلى تلميذه أبي يوسف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُم توالت التصانيف بعد ذلك، وهذا دليل على أهمية هذه الآداب وعناية العلماء بها(١).

ودُون تحلِّي طالِب العِلم والعالِم بهذه الأخلاق والآداب، فإن تحصيل العِلم حينئذٍ يَعود بضدِّ المقصود منه؛ فتَرَى العالِم غير العامِل بعِلمه، والبائع دينه بعَرَض من الدنيا زائل، والموالي الظَّلَمة الفَسَقة من الناس، وتَرَى طالِب العِلم المتكلِّمَ فيما لم يُحِط به عِلمًا المسارِع في التوقيع عن الله وهو ليس بأهل لذلك، والمقصِّرَ في العبادة، والواقعَ في الشهوات، والشتَّامَ السبَّاب وغير هذه من الآفات -وما أُبرِّئ نفسي-، ومن هنا كانت عناية أهل العِلم بآداب العالم والمتعلم.

ولهذا كان أهل العِلم الأماثل الفضلاء لا يتوقَّفون عن النظر في هذه الآداب ومراجعتها من وقتٍ إلى آخَر وإن بلغوا في العِلم والعمل ما بلغوا؛ ومن الأمثلة على ذلك كتابنا «**تهذيب النفس**»، فإن ابن المِبرَد -كما ستقف عليه في ملحق السماعات- كان دائم الإقراء لهذا الكتاب؛ حتى إنه قرئ عليه قبل موته بـ(١٣) يومًا، ومنهم من سمِعه منه أكثر من مرة، كابن طولون الحنفي، وهذا دليل على اعتنائهم بهذه الآداب ومعرفتهم بأهميتها.

---

(١) راجع: «**آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي**»، الدكتور/ يحيى حسن مراد (ص١٠٢).

ويَعنِي المصنِّفون في آداب العالم والمتعلم بها= هذه الآداب والصفات التي يَتعيَّن على العالم والمتعلم أن يتحلَّى بها في نفسه؛ مظهره، وسلوكه، ومهامه وواجباته ومسؤلياته[1].

---

(١) راجع: «آداب العالم والمتعلم عند بعض المفكرين المسلمين»، مطلق هلال ضويحي (ص١٣).

جهود الحنابلة

في التصنيف في آداب العالم والمتعلم

إن الناظر إلى مَن أَفرَد آداب العالم والمتعلم بالتصنيف يَجِد أن العلماء من سائر المذاهب الفقهية المَرضيَّة قد أسهموا في هذا الباب، وقد كان للسادة الحنابلة حظٌّ وافر في هذا ومزيدُ تقدُّم، وكان تقدُّمهم في هذا من جهتين: **الأُولى**: التصنيف في فترة مبكرة. **الثانية**: كثرة التصنيف. كما سيَظهَر لك عند ذِكرنا لمصنَّفاتهم هذه.

وهذا فيه دلالة على اعتناء الحنابلة بهذا الأمر، وهو غير مستغرَب منهم، فقد كان إمام المذهب في هذا الأمر والمعرفة به والعمل وَفقه والنصح به= القُدوةَ والمنهاجَ؛ فلا تَجِد مَن تكلَّم في أصول الزهد والأخلاق إلَّا كان مستشهِدًا بكلام له، بل إن تَتبَّعتَ كثيرًا من الكتب التي صُنِّفت في تراجم الصوفية، فإنك لا بُدَّ واجدٌ للإمام فيها ترجمةً، بل قلَّ أن تَجِد كتابًا من كتب أهل التصوُّف التي يَتكلَّمون فيها عن التصوُّف وأحواله وكُتب غيرهم ممَّن تكلَّم في هذا الباب= يَخلُو من نقلٍ عن الإمام أحمد، ولا خِلاف في أن الإمام أحمد كان إمامًا في الزهد، إمامًا في الوَرَع، إمامًا في الفقر، وهذه أصول ما يُتكلَّم فيه من آداب العالم والمتعلم، ولهذا أيضًا لا تكاد تخلو الكتب المفرَدة في آداب العالم والمتعلم وآداب المفتي والمستفتي= من نقل قولٍ أو حكايةٍ عنه فيها.

ثُمَّ جاء شيخ الطريق القُدوة الجامع بين العلم والعمل الإمام عبد القادر

الجيلاني الحنبلي (ت٥٦١هـ) المعظَّم عند الحنابلة وعند جميع الطوائف[١]، فجدَّد عِلم الزهد والفقر والورع الذي قام به الإمام أحمد، فتَعلَّم الحنابلة هذا العِلم من حاله ومقاله وقلمه، فأخَذ عنه أعلام المذهب ومحقِّقوه أمثال شيخ الإسلام موفَّق الدين بن قدامة وغيره لا سيَّما من الحنابلة المقادسة، ثُمَّ تناقَل الحنابلة ما ورِثوه من هذا العِلم عنه، ولذلك فإنك لا بُدَّ واجدٌ أصحاب كُتب الآداب العامَّة كـ«**الآداب الشرعية**» لابن مفلح، و«**شرح منظومة الآداب**» للحَجَّاوي، وكذلك شرحها للسَّفَّاريني، يَنقُلون كلامَه وأقواله، وكذلك نقَل عنه ابن المِبرَد في كتابه المفرَد في آداب العالم والمتعلِّم والذي نَعمَل عليه «**تهذيب النفس**» كمَا سيأتي بيانه عند كلامنا عن منهجه في الكتاب.

وهكذا كان الحنابلة يَتوارَثون هذه الحال، حتى عُرِفوا بها، وصارت لهم شِعارًا، فقد صاروا في الجملة على مَرِّ الأزمان على هذا النهج، فلم يكونوا من أصحاب المناصب ولا الوظائف، ولا كانوا ممَّن يُنافِسون الناس في دنياهم، فلم يَشغَلهم سوي العِلم والعبادة، فهُم -كما يقول الإمام ابن قدامة المقدسي-: «مخصوصون بالدِّين، وولاية الله تعالى...، وهُم أصحاب الزهد والعبادات والولاية والكرامات، وقد زوَى الله عنهم الدنيا، وأبرهم بالدِّين»[٢]، وهذا الذي قرَّره صاحبنا ابن المِبرَد في كتابه «**جمع الجيوش**»، إذ قال فيه: «فوالله لم تَزَل الحنابلة على التمسُّك بالكتاب والسُّنة، وعلى لزوم الطاعة والديانة والعبادة والتواضع والزهد في الدنيا والورع والتخفُّف

---

(١) راجع في هذا «**سير أعلام النبلاء**» (٢٠/ ٤٣٩)، و«**ذيل طبقات الحنابلة**» (٢/ ١٨٧).

(٢) «**البرهان في بيان القرآن**» لابن قدامة المقدسي (ص٩٣).

والتنسُّك قديمًا وحديثًا، والعوامُّ يُعرَف ذلك منهم فضلًا عن الفقهاء»[١].

وأنا ذاكرٌ هنا مصنَّفات الحنابلة[٢] في هذا الباب، سواءٌ كانت في آداب العالم والمتعلِّم، أو في شيء منها، أو في الآداب الشرعية مطلقًا؛ لتضمُّنها الكلام عن آداب العالم والمتعلِّم، وسأذكُرها مقدِّمًا الأقدم ثُمَّ الذي يليه[٣]... إلخ.

- «**أخبار الشيوخ وأخلاقهم**» لأبي بكر المَرُّوذِي (ت٢٧٥هـ).

- «**الأدب**»، و«**العلم**»، و«**فضائل القرآن**» ثلاثتهم لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ).

- «**الأدب**» لإبراهيم الحربي (ت٢٨٥هـ).

- «**أخلاق الإمام أحمد**» و«**الأدب**» كلاهما لأبي بكر الخلال (ت٣١١هـ).

- «**فضائل القرآن**» لابن أبي داود السِّجِستاني (ت٣١٦هـ).

- «**الآداب**» لمحمد بن مخلد الدُّورِي (ت٣٣١هـ).

- «**أخلاق حملة القرآن**»، و«**أخلاق العلماء**»، و«**آداب العلماء**»، و«**أدب النفوس**»، و«**فرض طلب العلم**»، و«**فضل العلم**» كلُّها لأبي بكر الآجُرِّي (ت٣٦٠هـ).

---

(١) «**جمع الجيوش**» (ص٣٢٩).

(٢) كان اعتمادي في تتبُّع هذه المصنفات وجمعها على كتاب «**معجم مصنفات الحنابلة**» للدكتور/ عبد الله بن محمد الطريقي.

(٣) راجع ما طُبع من هذه الكتب وما هو مخطوط، أو ما هو في حكم المفقود، في «**معجم مصنفات الحنابلة**» (١/ ١٢٦، ١٥٥، ١٧٩، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٦٦، ٣٠٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٩)، و(٢/ ٢٨، ٧٣، ٦٩، ٣٤٢، ٣٨٠)، و(٣/ ١٥٨، ٢٨٤، ٣٢٦)، و(٤/ ٩٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٦، ٢٢٩، ٣٣٢، ٣٤٧)، و(٥/ ٣٧٠، ٣٧١)، و(٧/ ١٠٥، ٣٠٠، ٣٣٧).

- «**العلم**» للطبراني (ت٣٦٠هـ).

- «**الآداب**» لابن أبي موسى (ت٤٢٨هـ).

- «**آداب العالم والمتعلم**»، و«**آداب القراءة وصنعة الإقراء**»، و«**بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء**» ثلاثتهم لابن البناء (ت٤٧١هـ).

- «**الحث على طلب العلم وذكر كبار الحفاظ**»، و«**فضائل الفقه**» كلاهما لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

- «**فضل العلم**»، و«**فضائل القرآن**» كلاهما للضياء المقدسي (ت٦٤٣هـ).

- «**منظومة الآدب**» الكبرى والصغرى لابن عبد القوي (ت٦٩٩هـ)، ولهما شروح.

- «**الآداب الشرعية**» لنجم الدين الطُّوفِي (ت٧١٦هـ).

- «**فضل العلماء**» لابن القيم (ت٧٥١هـ).

- «**الآداب الشرعية**» الصغرى والوسطى والكبرى لشمس الدين ابن مفلح (ت٧٦٣هـ).

- «**الآداب الشرعية**» لابن شيخ السَّلَامِيَّة (ت٧٦٩هـ).

- «**فضل علم السلف على علم الخلف**» لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ).

- «**الآداب**» لابن سعيد المقدسي (ت٨٥٥هـ).

- «**فضل العلم وفضل حملته**» لابن الدواليبي (ت٨٦٢هـ).

- «**قصيدة في فضل العلم والمتعلم**»، و«**منظومة في الآداب الشرعية**» كلاهما لمحمد بن سيف العتيقي (ت بعد ١٢٠٠هـ).

- «**منظومة في الحث على طلب العلم**» لفالح بن مهدي (ت١٣٩٢هـ).

- «**الحث على العلم والعمل والنهي عن البطالة والكسل**» عبد الله الخليفي(١٤١٤هـ).

- «**العلم والعلماء**» لزيد بن فياض (ت١٤١٦هـ).

وليس غرضنا هنا الاستيعاب، ولا هو في قُدرتنا، وإنما أَورَدنا ما يَدُلُّ على ما ذكَرناه من أن الحنابلة من المعتنين بهذا الأمر منذ وقت مبكر، ومن المكثرين من التصنيف فيه، وقد أريناك أن الاعتناء والتصنيف في هذا الباب قد بدأه متقدِّمو علماء المذهب الأوائل وأعلامه من تلامذة الإمام ومَن جاء بعدهم حتى متأخِّري علماء المذهب والمنتسبين إليه، وقد قرأتَ ما قرَّرناه لك من السبب في هذا من وجهة نظرنا. والله أعلم.



كتاب «تهذيب النفس»

تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى ابن المبرِد

إن التحقُّق من صحة عنوان الكتاب يُعتبَر الركن الأول من أركان التحقيق، وأَولَى ما يَصرِف المحقِّق فيه جُهدَه، فليس هو من باب تقرير أمور صناعية لا كبير فائدة من تقريرها، بل التحقُّق منه ضروري؛ لِمَا فيه من مهمات وفوائد جليلات[(١)].

والتحقُّق هنا من اسم كتاب «**تهذيب النفس**» لابن المِبرَد، سهلٌ ميسورٌ؛ لتوفُّر أقوى وسائل معرفة العنوان الصحيح بأيدينا.

فعنوان الكتاب الصحيح المحقَّق: «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**»، والأدلة على ذلك ما يَلِي:

١- أن هذا الاسم جاء على صفحة العنوان بخطِّ المصنِّف، ونسخةُ الكتاب جميعها بخطِّه.

٢- ورَد هذا الاسم في سماع تلميذ المصنِّف أبي القاسم الوادي آشي الذي بخطِّه، إذ قال فيه: «فقد سمِعتُ من لفظِ سيدنا ومولانا...كتابَه هذا، وترصيفُه: «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**» مِن أَوَّلِه إلى آخِره...».

٣- ذكَره له بهذا الاسم صاحب «**النعت الأكمل**»[(٢)]، وصاحب «هدية

(١) راجعها في «**العنوان الصحيح للكتاب**»، أ.د الشريف حاتم بن عارف العوني (ص٣٢ وما بعدها).
(٢) (ص٧٠).

العارفين»[1]، وصاحب «**مختصر طبقات الحنابلة**»[2]، إلا أنه قد ورَد في مطبوعة هذا الأخير محرَّفًا هكذا: «**تهذيب النفس بالعلم والعمل**».

وقد نسَب ابن المِبرَد هذا الكتاب إلى نفسه في كتابه «**فهرست الكتب**»[3]، إذ قال فيه: «ومجموعٌ فيه: **تهذيب النفس**، والمسلسلات...».

(١) (٢/ ٥٦١).
(٢) (ص٨٥).
(٣) (ق١٢/ و).

منهج ابن المِبرَد في كتابه

يَدخُل كتاب ابن المِبرَد ضِمن كُتب آداب العالم والمتعلِّم، إلَّا أنه قد اعتنى فيه بآداب طالب العلم واقتصر عليها، بل قد جعَل أكثر الكتاب في بيان آداب المتعلِّم فيما يتعلَّق بنفسه وتهذيبها بما يَجعَلها صالحةً لتحمُّل العِلم، ولهذا سمَّاه: «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**»، ولهذا رأيناه يَنقُل فيه وصية الإمام عبد القادر الجيلاني من كتابه في آداب السلوك والتصوُّف «**فتوح الغيب**»، وهذه الوصية كالمنهاج الذي يَسلُك به طالب العِلم الطريق إلى الله تعالى، وبهذا مزَج ابن المِبرَد في كتابه -على اختصاره- بهذا النقل بين آداب العالم والمتعلِّم والتصوُّف، وذلك لأنه كان على مذهب التصوُّف وعلى طريقة الإمام عبد القادر الجيلاني، وتصوُّف ابن المِبرَد من التصوُّف المحمود وليس من التصوُّف المذموم؛ إذ طريقة الإمام عبد القادر الجيلاني طريقة معروفة بأنها قائمة على الالتزام بظاهر الشرع واقتفاء أثر السلف الصالح، ولهذا عَدَّ شيخُ الإسلام ابن تيمية الجيلانيَّ من أئمة الصوفية من أهل السُّنة، وسيأتي مزيد بيانٍ لهذه المسألة بحَوْل الله تعالى بُعيدَ هذا المَوضِع.

هذا بالإضافة إلى أن ابن المِبرَد بمزجه هذا بين آداب طالب العِلم والتصوُّف يكون قد نبَّهَنا على أمر مهم، وهو أن تهذيب النفس وإصلاحها عِلمٌ كغيره من العلوم يحتاج السالك في تعلُّمه إلى معالجته ومزاولته على يد شيخ يَتعلَّم من مقاله وحاله هذا العِلم، وهذا ممَّا أغفله كثير من طلبة العِلم في زماننا، فكان حالُهم وحالُنا كمَا تَرَى!

ولم يَتعرَّض ابن المِبرَد في كتابه إلى آداب العالم، ولعلَّ السبب في ذلك هو أن هذه الآداب التي تَعرَّض لها ابن المِبرَد التي هي في أغلبها آداب لتهذيب النفس وتخليتها من آفاتها المانعة من تحصيل العلم والانتفاع به= هي آداب مشتركة بين العالم والمتعلِّم، وإنما خاطَب بها طالب العِلم في كلامه دُون العالم، لأن طالب العِلم هو المخاطَب بها ابتداءً، لأن أوان تحصيل هذه الآداب إنما يَكُون في بداءة طلب العِلم، وإنما العالم على الحقيقة هو مَن تحقَّق بهذه الآداب، وأصبحت كصفاته التي لا تَنفَك عنه.

ومع ذلك فلم يُخلِ ابن المِبرَد كتابه -مع كونه مختصَرًا، وقصدُه فيه في الأساس هو بيان آداب طالب العِلم التي تَتعلَّق بتهذيب نفسه- مِن التكلُّم عن فضل العِلم والعلماء كمَا في بداية الكتاب وخاتمته، كمَا تَعرَّض إلى بعض آداب الطالب مع شيخه، وكذلك نبَّه على العلوم التي يَنبغِي على طالب العِلم الاعتناء بها.

وطريقة ابن المِبرَد في كتابه هي أنه يَذكُر الأدب بلفظه هو، فيقول مَثلًا: وعلى طالب العلم أن...، وينبغي لطالب العلم ألَّا...، ولْيَعلَم طالب العِلم...، والحذر الحذر من...، إلى غير ذلك من العبارات، ثُمَّ يَذكُر شاهدًا على كلامه هذا من الأحاديث المرفوعة أو الموقوفة، أو مواقف للعلماء تَدُلُّ على ما ذكَر.

وكلُّ ما يُورِده ابن المِبرَد من الأحاديث والآثار والحكايات إنما يُورِده بإسناده على عادة المحدِّثين، وهذه سمة عامَّة في مُعظَم كُتبه، وذلك لغلبة عِلم الحديث عليه كمَا ذكَرنا في ترجمته.

وقد يُعلِّق ابن المِبرَد على هذه الأحاديث والآثار التي يُورِدها، ولكن ذلك منه قليلٌ.

ولم يُقسِّم كتابه إلى أبواب أو فصول، ولم يَضَع عناوين جانبية، ولعلَّ ذلك لأن الكتاب مختصَرٌ صغير الجِرم. ولهذا وضعتُ عناوين جانبية تيسيرًا على القارئ كمَا سنُوضِّحه -بحَوْل الله تعالى- في منهج عملنا في تحقيق الكتاب.



طالب العلم ولُبس خِرقة التصوُّف

كان ابن المِبرَد صوفيًّا، وقد صنَّف في ذلك كمَا رأيتَ عند حديثنا عن مؤلَّفاته، وهو في ذلك على طريقة الإمام عبد القادر الجيلاني الحنبلي[١]، وقد سار في اتباع هذه الطريقة على ما هو سائد عند المتأخِّرين من العلماء؛ من القيام ببعض الأمور العملية التي أصبحت من سمات الطُّرق الصوفية، ومنها لُبس الخِرقة من أيدي الشيخ، وهي كالإجازة عند علماء الحديث والقراءات وغيرهم.

فقد لبِس ابنُ المِبرَد خِرقة التصوُّف القادرية عن عدد من شيوخه، ذكَر ذلك في أكثر من كتاب له، واستوعب ذلك في كتابه «**بدء العُلقة بلُبس الخرقة**»[٢]، وكذلك لبِسها منه عدد من تلامذته منهم ابن طولون الحنفي كمَا ذكَر ذلك في كتابه «**الفلك المشحون**»[٣]، وعبد الصمد الهندي الحنفي[٤]، وأبو بكر عمر ابن خليل اللبودي الشافعي[٥].

وقد جعَل ابن المِبرَد في كتابنا «**تهذيب النفس**» لُبس الخِرقة من المشايخ

---

(١) راجع: «**جمع الجيوش**» (ص٣٧٩)، و«**بدء العلقة**» (ص١٥٣ وما بعدها). وكذلك ستقف على شيء من ذلك في كتابنا الذي نحقِّقه «**تهذيب النفس**».

(٢) راجع: «**بدء العلقة**» (ص١٥٣ وما بعدها).

(٣) (ص١٤١).

(٤) راجع: «**متعة الأذهان**» (١/ ٤٢٥).

(٥) راجع: «**بدء العلقة**» (ص١٧٦).

ممَّا يَنتفِع به طالب العِلم، إذ قال فيه: «وإن أَلبَسُوه خِرْقَةً تَكُون عليه، فذلك ما يُرجَى به الخيرُ، وقد كان جَمَاعة من السَّلَف يَفعَلون ذلك، ويَطلُبون لُبْس الخِرَق من أيدي الصَّالحِين والتَّأَدُّب بأحوالهم وأفعالهم، وقد اعتنَى أهل التَّصوُّف بلُبس الخِرْقَة المبارَكة».

وقد جعَل بعضُ الباحثين هذا من مظاهر تأثُّر ابن المِبرَد ببدعة التصوُّف ووقوعه فيها؛ منهم الدكتور عبد الله بن سالم البطاطي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن المِبرَد «**مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول**»، وقد أطال في تقرير ذلك، والدكتور خالد بن قاسم الردادي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن المِبرَد «**تحفة الوصول إلى علم الأصول**»[1]، لكننا لن نُعوِّل على ما كتَبه الدكتور الردادي؛ لأنه قد رَدَّد ما ذكَره الدكتور البطاطي، وقلَّده في نسبة ابن المِبرَد إلى الوقوع في البدعة! وبذلك سيَكُون كلامنا مع الدكتور البطاطي دُون غيره.

وسنتكلَّم هنا مع الدكتور عن لُبس خِرقة التصوُّف دُون ما انتقده على ابن المِبرَد من أمور أخرى في تصوُّفه، لأن لُبس الخِرقة له عَلاقة بكتابنا «**تهذيب النفس**»؛ إذ جعل ابنُ المِبرَد فيه لُبسَ طالب العِلم الخِرقة من يد الشيخ ممَّا يُرجَى به الخير كما تقدَّم، ولأن كلامنا معه ليس عن التصوُّف من حيث هو، وإنما فيما بنَى عليه من أحكامٍ حكَم بها على ابن المِبرَد، وهو -في رأينا- ظالمٌ فيها لابن المِبرَد، والسبب في ذلك -كمَا سيتبيَّن لك بحَوْل الله تعالى- الأحكام المسبَقة والقواعد المستقرة عند الدكتور دُون النظر في صحة تنزيل هذه الأحكام

---

(١) وخدمته للكتاب غير مرضية؛ فقد بدأ تحقيقه! بسقط وتحريف!

والقواعد على ما يَتكلَّم فيه، هذا مع التنزُّل في اعتبار أن هذه الأحكام والقواعد -التي أخذها الدكتور الفاضل بكلتا يديه- صحيحةٌ ليس فيها نظرٌ!

وسيكون نقاشنا مع الدكتور -غفر الله لنا وله- من خلال نقطتين:

الأُولى: تصوُّف ابن المِبرَد.

الثانية: نظرُ ابن المِبرَد للُبس خِرقة التصوُّف.

أمَّا عن النقطة الأُولى، فقد قال الدكتور الفاضل عن تصوُّف ابن المِبرَد: «أمَّا من ناحية السلوك فقد جَرَفَه ما كان سائدًا في عصره، وأصابه ما أصاب كثيرين من بني جنسه، وناله من رَدغَة[1] التصوُّف شيئًا...، ولا يَظُن أحدٌ أن التصوُّف ههنا هو الزُّهد كمَا يُروَّج له! بل هي رسومٌ وطقوسٌ تأثَّر بها ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[2].

كذا قال الدكتور! وأنا ناقِلٌ لك كلام ابن المِبرَد في التصوُّف ورأيه في صوفية عصره، لتقارِن بين تصوُّر الدكتور لتصوُّف ابن المِبرَد وتصوُّر ابن المِبرَد نفسِه عن التصوُّف!

فقد نقَل ابن المِبرَد في «**تهذيب النفس**» وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني لسالك طريقته في التصوُّف -وكذا في «**بدء العلقة**»[3]- فقال: «وصيةُ الشيخ عبد القادر، وهي هذه: أُوصِيك بتقوى الله في السِّرِّ والعلانية، ولُزُوم ظاهِر

---

(١) استخدام هذه الكلمة في هذا السياق أراها متكلَّفة يَنبُو عنها السمع.

(٢) من مقدمة تحقيقه (ص٧١).

(٣) (ص١٥٥-١٥٧).

الشَّرعِ الشَّرِيف، وحفظِ حُدُوده...، واللهُ تعالى يُوفِّقنا وإيَّاك لِمَا ذكَرناه وبَيَّنَّاه، ويَجعَلنا وإيَّاك مِمَّن يَقْفُو آثار السَّلَف، ويَترُك عند الحقِّ هوَاه إن شاء الله تعالى».

فانظر إلى قول الجيلاني: ولُزُوم ظاهِر الشَّرعِ الشَّرِيف، وحفظِ حُدُوده. وقوله: ويَجعَلنا وإيَّاك مِمَّن يَقْفُو آثار السَّلَف، ويَترُك عند الحقِّ هوَاه.

وقال في كتابه «**زبد العلوم**» عند كلامه عن علم التصوُّف: «**كتاب التصوُّف**: اعلم أيها المريد وفَّقك الله وإيانا أن هذا مذهب كلُّه جِد، فلا تخلطه بهزل، وإذا أردتَ الدخول فيه فجوِّد نيتك وأصلح طويتك، واختر لنفسك شيخًا ومسلكًا، واقتد بالنبيِّ وأصحابه والسلف الصالح في الأقوال والأفعال كيف ما قدرتَ، والبَس خِرقة التصوُّف...، واقصد في مأكلك وثيابك، وإياك والكِبر وحب الرِّياسة، وإياك والشيطان، ومَن عرَف نفسه تواضع، ومَن عرَف ربَّه تصوَّر تبعيده وتقريبه فخاف ورجا، فأصغَى إلى الأمر والنهي، فارتكَب واجتنَب؛ فأحبَّه مولاه فكان له سمعًا وبصرًا ويدًا، واتخذه وليًّا؛ إن سأله أعطاه، وإن استعاذ به أعاذه...، **وإذا خطَر لك أمرٌ فانظر الشرع؛ فإن وافقه فبادِر، فإنه من الرحمن، وإن خالَفه فإياك فإنه من الشيطان**...»[١].

وقد بان لك عند سردنا لأسماء كتب ابن المِبرَد في التصوُّف والوعظ والسلوك والآداب، أن كلَّ كُتبه في هذا إنما هي في الحث على الطاعات والتزهيد في الدنيا، وتَذكَّر ما نبَّهتُك عليه قبلُ من أن ابن المِبرَد في كلِّ ما يُورِده في كُتبه إنما يُورِده على طريقة المحدِّثين من إيراده بالأسانيد المتصلة، والذي

---

(١) «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم» لابن المبرد (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).

يَفعَل مِثل هذا فهو أبعدُ عن الابتداع، وأقربُ إلى الاتباع، وفي ذلك يَقُول ابن المِبرَد عن تصنيفه كتاب «**هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن**»: «ووضعتُه على قاعدة أرباب الحديث بالأسانيد المتصلة، فإن الإسناد من الدِّين، ولولاه لقال ما شاء مَن شاء مِن الملحدين»[(١)].

أَأَهلُ التصوُّف المبتدَع يقولون ذلك يا دكتور؟!

وقد ذكَر ابن المِبرَد في كتابه عن الكبائر أن منها «الغُلُو في المخلوق حتى يتعدَّى به منزلته، وهذا قد يَرتقِي من الكبيرة إلى الشِّرك»[(٢)].

عجيبٌ؛ أهلُ التصوُّف المبتدَع يَنهَون عن الغُلُو في المخلوق، ويَجعَلونه من الكبائر، بل يجعلون هذا الغُلُو فيه في بعض الأحيان شِركًا!

بل كان ابن المِبرَد رَحِمَهُ اللَّهُ يَذُمُّ هذا التصوُّف المبتدَع الذي لا يَقُول به أحدٌ يَنتسِب إلى العِلم، ويُنكِر على أصحابه، فقال في وصفهم: «فأجمَعُوا السِّماط[(٣)]، وصرَخُوا بالعِيَاط، قد تَركُوا الأذكار، وهرَبت منهم الأنوار، وأَظهَروا الرَّقص والغناء؛ فأنت أنت، وأنا أنا!»[(٤)].

فهذا هو تصوُّف ابن المِبرَد! فإذا ذكَّرتُك بما قرَّرناه في صفات ابن المِبرَد من أنه كان زاهدًا في الدنيا مع امتلاكه أسبابها، وأنه كان يَشغَل جُلَّ وقته بالعبادات والطاعات= بان لك أن نفْي الدكتور الفاضل أن يكون تصوُّف ابن

---

(١) «**هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن**» لابن المبرد (ق٢/ و).

(٢) «**إرشاد الحائر إلى علم الكبائر**» لابن المبرد (ص٥٢).

(٣) السماط: الصَّف من الناس.

(٤) «**صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله**» لابن المبرد (ص٩٢).

المِبرَد هو الزهد -هكذا بإطلاق-، إنما هذا هو الظُّلم عينُه، وفيه سلبٌ لحقِّ ابن المِبرَد من أنه كان زاهدًا بالفعل -وهو الغاية من التصوُّف عند ابن المِبرَد، وقد بان لك هذا من كلامه السابق-، وهذا ما اتَّفَق تلامذته وكلُّ مَن تَرجَم له على وصفه به وإثباته له!

أمَّا الكلام عن النقطة الثانية، فسيكون عن قول الدكتور إن تصوُّف ابن المِبرَد عبارة عن رسوم وطقوس مبتدَعة، ونحن نتكلَّم معه في واحدة فقط من هذه الرسوم، لأنها التي لها ذِكرٌ في كتابنا «**تهذيب النفس**»، وهي لُبس الخِرقة، ولأن ليس غرضنا مناقشة هذه الأمور لِذَاتها، وإنما نَرُوم من وراء تقريرها بيانَ ما أخلَّ به الدكتور في كيفية النظر في كلام العلماء والحُكم عليه، بغض النظر عن حُكم المسائل نفسها.

فقد نقَل الدكتور كلام ابن المِبرَد الذي أوردناه في أول كلامنا من توصية طالب العِلم بأن يَلبَس الخِرقة من أيدي الصالحين، وعدَّد المواضع التي أشار ابنُ المِبرَد فيها إلى أنه لبِس الخِرقة من أيدي شيوخه.

ونحن نبيِّن بحَوْل الله تعالى مَوقِع لُبس الخِرقة من التصوُّف -عند ابن المِبرَد- الذي أوضحنا لك معالِمه قُبَيل هذا المَوضِع؛ لِتَتبيَّن هل ما قاله الدكتور الفاضل في هذا مُعبِّرٌ عن رأي ابن المِبرَد بصورة صحيحة أم لا؟!

وقبْل الشروع في بيان هذا نريد أن نقرِّر أن ثمة نوعين من الخِرَق: خِرقة الإرادة. وخِرقة التشبُّه.

فخِرقة الإرادة هي التي يُلبِسها الشيخ لتلميذه بعد إتمام تربيته. وخِرقة

التشبُّه هي خِرقة يُلبِسها الشيخ لطالبها بشرط لزوم الطاعة وهجران المعاصي فقط. وبذلك تَفترِق خِرقة الإرادة عن خِرقة التشبُّه؛ في أن خِرقة الإرادة يُشترَط في لُبسها لُزُوم ملازمة الشيخ واتباع توجيهاته، ولا يُشترَط ذلك في خِرقة التشبُّه، ولهذا تُبذَل خِرقة التشبُّه لكلِّ طالب بخلاف خِرقة الإرادة(١).

والخَطْب في إلباس خِرقة التشبُّه يسير؛ لأنه لا التزام مع لُبسها بتعاليم الطريقة وقواعدها، وهذا أحد الوجوه التي خُرِّج عليها ارتداء شيخ الإسلام ابن تيمية خِرقة التصوُّف(٢).

إنَّ للُبس خِرقة التصوُّف أغراضًا كثيرة يَلبَسها الناس من أجلها؛ منها غرض الإقلاع عن المعاصي، والتداوي وعلاج القلوب، والاتباع والسلوك، والتشرف بها، والتبرك بأيدي الصالحين والعلماء، والاتصال بمن أُخِذت عنه بالإسناد، وهذا مُوجِب للتبرُّك بمَن فيه من الرجال.

فهذه هي الأغراض التي يَذكُرها أهل التصوُّف للُبس الخِرقة(٣)، وتَتعدَّد أحكام لُبس الخِرقة تبعًا لتعدُّد أغراض لابِسِيها.

فقد يَلبَس الناس الخِرقة مثلًا للتشرف بها، «فإن ملابس الأكابر تُشرِّف

---

(١) راجع: «بدء العلقة» (ص١٤٦)، و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» للتهانوي (١/ ٧٤٢)، و«التشوُّف في إثبات ارتداء شيخ الإسلام ابن تيمية خرقة التصوف» لمحمود أبو حيان (ص١٢).

(٢) راجع: «بدء العلقة» (ص١٣٦)، و«التشوُّف في إثبات ارتداء شيخ الإسلام ابن تيمية خرقة التصوف» (ص١٢).

(٣) راجع «بدء العلقة» لابن المبرد (ص١٣٩-١٥٣).

لابِسها، كمَا أن خِلَع[1] الملوك تُشرِّف لابِسها»[2]، فلُبس الخِرقة لهذا الغرض ممَّا يَدخُل في حيِّز المباح[3].

ولُبس الخِرقة الأصلُ فيه أنه مباح بشرط ذكَره شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن إعطاء الرَّجُل لغيره ما يَلبَسه كإعطائه إياه ما ينفعه، وأخذُ ثوبٍ من النبي ﷺ على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة، وليس هذا كلِباس ثوبٍ أو قَلَنْسُوَة على وجهِ المتابعة والاقتداء؛ ولكن يُشبِه من بعض الوجوه خِلَع الملوك التي يَخلَعونها على من يُولُّونه كأنها شِعار وعلامة على الولاية والكرامة؛ ولهذا يُسمُّونها تشريفًا.

وهذا ونحوه غايته أن يُجعَل من جنس المباحات؛ فإن اقترن به نيةٌ صالحةٌ كان حسنًا من هذه الجهة، **وأمَّا جعلُ ذلك سُنةً وطريقًا إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك**»[4].

وعلى هذا فإن ظاهر كلام شيخ الإسلام السابق المنعُ من خِرقة الاقتداء والمتابعة وخِرقة التبرك، بخِلاف كثيرٍ من متأخِّري العلماء الذين رأَوا جواز ذلك واستحبُّوه.

وليس الغرض هنا مناقشة أدلة الفريقين، ولكن غرضنا هو بيان أن الأمر

---

(١) الخِلَع جمعُ خِلْعَة، وهي ما يعطيه الإنسانُ غيرَه من الثياب مِنحةً. راجع: «**المصباح المنير**» (خ ل ع) (١/ ١٧٨).

(٢) «**بدء العلقة**» (ص١٤٠).

(٣) راجع: «**مجموع الفتاوي**» لابن تيمية (١١/ ٥١١).

(٤) «**مجموع الفتاوي**» (١١/ ٥١١).

في هذا هيِّنٌ، فالمسألة فرعية عملية، ومرجِعها إلى أصل متنازَع فيه، فالخلاف فيها ثابت معتبَر، وجماعة العلماء الذين يُنازِعهم شيخُ الإسلام في جواز هذا يَدُلُّ صنيعهم على هذا الذي قلناه من أن الأمر سهلٌ يسيرٌ، ونحن نُبيِّن هذا من خلال تقرير ابن المِبرَد لهذا الأمر.

فابن المِبرَد يَرَى كغيره من الأئمة أن لُبس الخِرقة ليس مقصودًا لذاته، وإنما المقصود الأعظم هو التأدُّب والصحبة، فهذه الخِرقة دليلٌ على أن المريد «الطالب» قد أخَذ عن أستاذه وتَخرَّج به، وحمِد الشيخُ سلوكَ تلميذه هذا، فالمقصود الكلي هو الصحبة[1]، ولهذا فعندما ذكَر ابن المِبرَد شيخَه اللؤلؤي في كتابه «**بدء العلقة**» لم يَذكُره ضِمن مَن ألبَسوه الخِرقة، وذلك لأن اللؤلؤي هذا «كان أولًا على طريق الصوفية، ثُمَّ رجَع عن ذلك»[2]، ولكن ذكَره ضِمن من صحِبهم وتأدَّب بهم[3]، فعُلِم من ذلك أن الغرض هو الصحبة والتأدُّب وليس لُبس الخِرقة.

فلُبس الخِرقة ليس بلازم، ولا هو مقصود لذاته، وهذا هو المعتمد عند الحنابلة، فقد جاء في «**الإقناع**» وشرحه: «(ولا يُشترَط في الصوفي لِباس الخِرقة المتعارَفة عندهم من يد شيخٍ)؛ إذ لا دليل على اشتراطه في الشرع. (ولا رُسُومٌ اشتهر تعارُفها بينهم)... (فمَا وافَق منها الكتابَ والسُّنة فهُو حقٌّ، وما لا فهُو باطِلٌ، ولا يُلتفَت إلى اشتراطه) وإن كان مئة شرطٍ، قضاءُ الله أحقُّ،

---

(١) راجع: «**بدء العلقة**» (ص١٤٦).

(٢) «**الجوهر المنضد**» (ص١٠٦).

(٣) راجع: «**بدء العلقة**» (ص١٧٤).

وشرطُ الله أوثقُ»[١].

هذا بالإضافة إلى أن ابن المِبرَد يُقرِّر ما يُقرِّره أهل الحديث مِن أن سند الخِرقة ليس بمتصِل إلى النبي ﷺ ولا إلى الصحابة رضي الله عنهم، بل ولا إلى التابعين، فقد كان جماعةٌ من السلف الصالح لا يَعرِفون الخِرقة ولا يُلبِسونها المريدين، ولهذا فمَن لا يَلبسُها فله رأيه، وله في ذلك مقصد صحيح[٢].

وهذا الذي ذكَرناه تُعبِّر عنه بدقة عبارة ابن المِبرَد في **«تهذيب النفس»** التي نقلناها قبلُ: «وإن أَلبَسُوه خِرْقَةً تَكُون عليه، فذلك ما يُرجَى به الخيرُ، وقد كان جَمَاعة من السَّلَف يَفعَلون ذلك، ويَطلُبون لُبْس الخِرَق من أيدي الصَّالحِين والتَّأَدُّبَ بأحوالهم وأفعالهم، وقد اعتنَى أهل التَّصوُّف بلُبس الخِرْقَة المبارَكة».

فقوله: **فإن ألبسوه.** فيه إيماء إلى عدم الإلزام. وقوله: **ويَطلُبون لُبْس الخِرَق من أيدي الصَّالحِين والتَّأَدُّبَ بأحوالهم وأفعالهم.** فيه أن الخِرقة عتبة إلى المقصد الأكبر، وهو الصحبة والتأدُّب.

هذا بالنسبة إلى خِرقة الاقتداء والمتابعة، أمَّا لُبس الخِرقة بقصد التبرك، فهو المقصد الثاني الذي ذكَره ابن المِبرَد للُبسها، وقد نقَل ابن المِبرَد عن الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي أن عدم اتصال إسناد الخِرقة إلى منتهاه على شرط أهل الحديث، ليس بقادح في لُبسها لهذا الغرض؛ لأن «المراد

---

(١) **«كشاف القناع عن متن الإقناع»** (٤/ ٢٤٩).

(٢) راجع: **«بدء العلقة»** (ص١٤٨، ١٦٦)، وانظر **«سير أعلام النبلاء»** (١٦/ ٢٦٦).

ما يَحصُل من البركة والفائدة باتصالها بجماعات من سادات الصالحين»[١].

وحُكم لُبس الخِرقة لهذا المقصد راجعٌ إلى مسألة حُكم التبرك بآثار الصالحين وذِكرهم، وهو جائز عند الحنابلة من لدُن الإمام أحمد إلى متأخري أئمة المذهب، خلافًا لشيخ الإسلام ابن تيمية لمسلكه المعروف في مِثل هذه المسائل، وليس غرضنا مناقشة هذا كما ذكَرنا، ولكننا نريد أن نبيِّن أن ابن المِبرَد لم يكن على هذه الحال التي يريد الدكتور أن يُصوِّرها لنا، ويُقنِعنا بها.

ومن ذلك ما قاله المَرُّوذِي في كتاب «**الوَرَع**»: سمعت أبا عبد الله يَقُول: قد كان يحيى بن يحيى أَوصَى لي بِجُبَّته فجاءني بها ابنُه، فقال لي، فقلتُ: **رَجُلٌ صالحٌ قد أطاع الله فيها أَتَبرَّك بها**، قال: فذهَب فجاءني بمِنديل ثياب، فرددتُها مع الثياب[٢].

ومن ذلك أيضًا أنه قد ذُكِر صفوان بن سُليم عند أحمد بن حنبل فقال: هذا رَجُل يُستَسقَى بحديثه، ويَنزِلُ القَطْرُ من السماء بذِكرِه[٣].

ومن ذلك تبرُّك صالح بن الإمام أحمد بقميص والده؛ قالت فاطمة بنت الإمام أحمد: وقَع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تَزوَّج بِفَتِيَّة، فحمَلوا إليه جهازًا شبيهًا بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار، فجعَل صالحٌ يَقُول: ما غمَّني ما ذهَب إلَّا ثوبٌ لأَبِي كان يُصلِّي فيه أَتَبرَّك به، وأُصلِّي فيه.

(١) «**بدء العلقة**» (ص١٦٨).

(٢) «**الآداب الشرعية**» لابن مفلح (٢/ ٣٠، ٢٢٥).

(٣) راجع: «**تاريخ دمشق**» (٢٤/ ١٣٤)، و«**تهذيب الكمال**» (١٣/ ١٨٦)، و«**سير أعلام النبلاء**» (٥/ ٣٦٥).

قالت: فطُفِئ الحريق، ودخَلوا، فوجَدوا الثوب على سريرٍ قد أكلت النار ما حولَه وسَلِمَ[(١)].

وغير ذلك من الوارد عن تلامذة الإمام وأعيان المذهب وأعلامه في جواز التبرُّك بآثار الصالحين، ولا نريد أن نطيل بذِكره، ولا بيان أدلته، وعلى كُلٍّ فالمسألة من الفروع الفقهية، فالخَطْب فيها هيِّنٌ.

ولمَّا كان الأمر في شأن لُبس الخِرقة وجواز التبرُّك كما بيَّنتُ لك، وجَدنا كثيرًا من الأعلام لم يَتحرَّجوا من لُبس خِرقة التصوُّف حتى الذين نصُّوا على عدم اتصال إسنادها على شرط أهل الحديث، ومن الذين لبِسوا الخِرقة من يد الجيلاني نفسه الإمام ابن قدامة المقدسي الفقيه الحنبلي الشهير[(٢)] الذي كان شديد الذم لِمَا عليه جهلة الصوفية، حتى صنَّف فيهم كتابه «**ذم ما عليه مُدَّعُو الصوفية**»، وكان كذلك كثير الحَطِّ على الأشعرية في كُتبه الاعتقادية[(٣)]، فقد أقام الإمام ابن قدامة في مدرسة الجيلاني، وقرأ عليه مختصر الخرقي، وكان شديد التعظيم له والثناء عليه؛ لجمعه بين العِلم والعمل، وكان يقول فيه: «وكان يَكفِي طالبَ العِلم عن قصد غيره مِن كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسَعة الصدر»[(٤)].

---

(١) راجع: «**مناقب الإمام أحمد**» لابن الجوزي (ص٣٩٩)، و«**سير أعلام النبلاء**» (١١/ ٢٣٠)، و«**الآداب الشرعية**» لابن مفلح (٢/ ٢٢٥).

(٢) راجع: «**بدء العلقة**» (ص١٦٠)، ومقال: «**المذهب الحنبلي والتصوُّف**» لجورج مقدسي (ص٣٦٢، ٣٦٣).

(٣) لم أذكُر هذا إلاَّ لأن الدكتور الفاضل ذكَر أنه متعجب من أن ابن المبرد كان ذامًّا للأشاعرة، ومع ذلك وقع في بدعة التصوُّف وممارسة بعض طقوسه كلُبس الخِرقة!

(٤) «**ذيل طبقات الحنابلة**» (٢/ ١٩٥)، وراجع (٣/ ٢٨٢).

وقد نصَّ الحافظ السخاوي على جماعة من الأعلام ممَّن أنكَر اتصال إسناد الخِرقة على شرط أهل الحديث، ومع ذلك فقد لبِسوا الخِرقة وأَلبَسوها، فذكَر منهم: الدمياطي، والذهبي، والهكاري، وأبا حيان، والعلائي، ومغلطاي، والعراقي، وابن الملقِّن، والأبناسي، والبرهان الحلبي، وابن ناصر الدين[1].

ومَن يَنظُر نظرة سريعة في كُتب التراجم يَجِد هذا الجَمَّ الغفير من أعلام العلماء الذين لبِسوا الخِرقة وأَلبَسوها، وفي هذا دليل على ما ذكَرناه لك من أن الأمر في هذا هيِّنٌ.

وقد كان من الأصول التي سار عليها ابن المِبرَد، وحذَّر من مخالفتها -وهذا من وَرَعِه ﷺ-، ألَّا يَقَع المرء في تحليل حرام أو تحريم حلال، فقال: «والحذرَ كلَّ الحذر من أن يُبيح ما حُرِّم، أو يُحرِّم ما حُلِّل»[2]، وإنما يَكُون هذا -كمَا يُقرِّره ابنُ المِبرَد- بألَّا يختار المرء أية مسألة حَمِيَّةً ورياءً، بل يختار ما يُوجِب الإنصاف[3]، فهذا أصلٌ من أصول ابن المِبرَد يَجِب أن يُستصحَب في أثناء تقرير مذهبه في أية مسألة شرعية، وهو ما غفَل عنه هنا الدكتور الفاضل!

فإذا جمَعتَ ما ذكَرناه جميعًا نصب عينيك علِمتَ أن التصوُّف الذي نسَبه الدكتور لابن المِبرَد ليس هو تصوُّف ابن المِبرَد في حقيقة الأمر، ولا هو تصوُّف الحنابلة الذي سار على نهجهم فيه ابنُ المِبرَد، فإن تصوُّف الحنابلة مقيَّدٌ بالكتاب

(١) «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للسخاوي (ص٥٢٧).
(٢) «سير الحاث» لابن المبرد (ص٨٣).
(٣) السابق (ص٨٢).

والسُّنة، وليس ثَمَّ عَداءٌ بين الحنابلة والتصوُّف هكذا بإطلاق كما هو شائع، وإنما عادَى الحنابلةُ الصوفيةَ المخالِفين للكتاب والسُّنة، ولهذا يُقرِّر جورج مقدسي أن نظرية عداوة المذهب الحنبلي للتصوُّف لا تَصمُد أمام الفحص الدقيق[1].

حتى شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اشتهر بخصومته الشديدة للصوفية، فإنما كان هذا منه لنوع خاصٍّ من التصوُّف، وهو التصوُّف المبتدَع مِثل التصوُّف الحُلُولي وغيره من التصوُّف المخالف لصريح قواعد الشرع وأدلته، لأننا رأيناه يُظهِر إعجابه بأعمال طائفة من الصوفية من أمثال الجُنيد، وسَهل التُّستَري، وعبد القادر الجيلاني، ويَنُصُّ على أنهم بُرآء من بِدَع أهل التصوُّف، فهُم عنده من صوفية أهل الحديث[2]، وأمَّا رفضه لبعض الأمور العملية عندهم كلُبس الخِرقة وما أَشبَه ذلك، فهي -كما قرَّرتُ لك- من المسائل الفرعية التي تَختلِف فيها الأنظار، وتَتعارَض فيها الأدلة، وقد سلَك فيها شيخ الإسلام مسلكًا خالَف فيه غيرَه، فماذا كان؟!

بل المتتبِّع تراث شيخ الإسلام ابن تيمية يَستطِيع أن يَنسُبه بسُهولة ويُسرٍ إلى هذا التصوُّف الذي يُبجِّل ابن تيمية أعمدته من المشايخ، ولهذا صنَّف بعضهم حديثًا كتابًا في هذا، وسمَّاه «**ابن تيمية الصوفي**»[3].

---

(١) «**المذهب الحنبلي والتصوُّف**» لجورج مقدسي (ص٣٦٥).

(٢) راجع ما ذكَره ابن تيمية في «**مجموع الفتاوي**» (١٠/ ٥١٦، ٥١٧)، و«**الاستقامة**» (١/ ٢٤٩)، و«**الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**» (ص٣٩)، و«**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**» (٢/ ١٧٠-١٧٧). وانظر: «**المذهب الحنبلي والتصوُّف**» (ص٣٦٧).

(٣) تأليف أحمد محمد بلقيس، مركز تفكُّر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

فنخلُص من هذا أن تصوُّف الحنابلة في الجملة لم يكن يومًا من التصوُّف المبتدَع؛ بسبب سَير علماء المذهب فيه وفي غيره من مسائل الشرع على أصول الإمام أحمد، ومعروف من مذهب الإمام حرصه على المتابعة والاقتداء بالسلف، ولهذا كانت طريقة الجيلاني من أفضل الطُّرُق؛ لمحافظته في طريقته على هذا الأصل.

وقد صار على هذا الأصل مُعظَم الحنابلة، لا سيَّما المقادسة، فقد عُرِفوا بتشدُّدهم في هذا -كمَا سبَق بيانه-، وابنُ المِبرَد مقدسيٌّ وارِثٌ لعِلمهم وطريقتهم.

وأَرجُو بعد هذا العرض أنْ قد تبيَّن لك أنَّ ما قرَّره الدكتور البطاطي من مذهب ابن المِبرَد في التصوُّف بعيدٌ كلَّ البُعد عن مذهب ابن المِبرَد الحقيقي في التصوُّف، والسبب في ذلك أن الدكتور قد حكَمَ عليه من خلال ظواهر عبارات ابن المِبرَد المنتمية إلى حَقْل التصوُّف، ولو عنَّى الدكتور نفسَه بدراسة كتب ابن المِبرَد والوقوف على كلامه في التصوُّف وتتبُّعه، لَمَا حكَم عليه هذا الحُكم الجائر، وهذا من أبجديات البحث العلمي، والعجيب أن أصل عملِ الدكتور هذا إنما هو رسالته التي نال بها درجة الماجستير!

وبسبب عدم مراعاة الدكتور هذه القاعدة البحثية العلمية، قال: «والعَجَبُ من ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف دخَل هذا الباب! فإن من كان على طريقة أهل الحديث والأثر، معظِّمًا لأئمة السلف الصالح، مغرمًا بكتب شيخ الإسلام -وسجاله مع الصوفية مشهور-، حامِلًا على أهل البدع خصوصًا الأشاعرة

منهم؛ لا يكدر مشربه بالتصوُّف»[١].

وبسبب عدم مراعاتها أيضًا تكلَّف الدكتور الاعتذار له؛ بأن وقوعه في هذا إنما كان بسبب انتشار الطرق الصوفية في أرجاء بلاد الإسلام، ممَّا جعلها مألوفةً، بالإضافة إلى اتصاله بشيوخ التصوُّف والأخذ عنهم، وحسن ظنِّه بالصوفية، والرغبة في الحصول على لذة العبادة، واعتقاد أن التصوُّف طريق لذلك[٢].

ونحن نَحمَد للدكتور سلوك طريق الاعتذار عن ابن المِبرَد -من حيث المبدأ، لا أننا نَرَى أنه مصيبٌ في تخطئته ابن المِبرَد كما هو واضحٌ-، فهُو الواجب المتعيّن في التعامل مع كلام العلماء، بشرط التأنِّي في نسبتهم إلى الخطأ وعدم التسرُّع إلى ذلك ببادئ الرأي! إلَّا أن العُذر الذي التَمَسَه الدكتور هنا لابن المِبرَد كمَا يقال في المَثَل: عُذْرٌ أقبح من ذنبٍ. إذ تُصوِّر لنا هذه الاعتذاراتُ ابنَ المِبرَد على أنه رَجُلٌ ساذَج! من شِرْذِمة العَوَام الذين يَسِيرون في رِكاب هؤلاء الصوفية دُون نظرٍ فيما يَختار ولا تعقُّلٍ لِما يَفعَل! ومِثلُ هذه الاعتذارات لو قِيلت في حقِّ شادٍ في العِلم، لكانت سمِجة مُتكلَّفة، بل لو قِيلت في حقِّ بعض عقلاء العَوَام، لَمَا قبِلها في حقِّهم ذوو الأفهام!

ثُمَّ ختَم الدكتور هذا المبحث بتحسُّره على ابن المِبرَد! إذ لم يَترُك طريق التصوُّف كما فعَل شيخُه اللؤلؤي[٣]. فبجانب أن هذا الكلام خَطَابي لا عَلاقة له بقواعد العِلم وأصول الاستدلال، فإني قد بيَّنتُ لك قُبَيل هذا المَوضِع أن

---

(١) من مقدمة تحقيقه لكتاب «مقبول المنقول» (ص٧٣).

(٢) السابق (ص٧٤).

(٣) مقدمة تحقيقه لكتاب «مقبول المنقول» (ص٧٥).

ابن المِبرَد قد ذكَر شيخه اللؤلؤي ضِمن من تأدَّب بهم بل هو الذي تأدَّب به على الحقيقة وإن كان قد تَرَك طريق التصوُّف النظامي الصناعي، وهذا يؤكِّد ما بينَّاه لك من أن المقصد الأعظم عند القوم إنما هو الصحبة وملازمة الشيوخ والتأدُّب بأحوالهم.

وأنا أَعجَب جدًّا من الدكتور وغيره ممَّن يَتعلَّقون بترك شيخه اللؤلؤي لطريق التصوُّف، مع أن ابن المِبرَد نفسه هو الذي نقَل عنه هذا! أمَا توقَّفوا أمام هذا وتأمَّلوه، فقالوا: كيف يُعظِّم ابن المِبرَد شيخه اللؤلؤي هذا التعظيم ويَذكُر عنه أنه هو الذي تأدَّب به في الحقيقة دُون غيره، ثُمَّ يَذكُر عنه أنه رجَع عن طريق التصوُّف، ومع ذلك يَبقَى هو على تصوُّفه؟!

وسبب ذلك كمَا بيَّنتُ لك أن الدكتور وغيره ممَّن قرَّر هذا لم يَقِفوا على حقيقة تصوُّف ابن المِبرَد، وأن التصوُّف عنده وعند سائر أهل العِلم -لا التصوُّف عند المُدَّعِين- سبيلٌ إلى تهذيب النفس، وليس هو مقصود لذاته، فمَن وصَل إلى تهذيب نفسه بطريق التصوُّف أو بغيره، فقد حصَّل المقصود، ولهذا تأدَّب ابنُ المِبرَد بشيخه اللؤلؤي وإن كان قد ترَك طريق التصوُّف، فتأمَّل!

هذا بالإضافة إلى أن هذا الصنيع من الدكتور فيه تقديم إساءة الظنِّ بابن المِبرَد على إحسانه به! وهو راجعٌ أيضًا إلى تصوُّر الدكتور غير الصحيح عن تصوُّف ابن المِبرَد وعن التصوُّف عمومًا؛ فقد غفَل عن كون التصوُّف له أشكال وأنواع؛ فمنه الباطل ومنه غير ذلك، وهو المقيَّد بالكتاب والسُّنة كمَا تبيَّن لك من التقرير السابق وممَّا سُقناه إليك من كلام شيخ الإسلام، وأن التصوُّف المقيَّد بالكتاب والسُّنة فيه بعض الفروع التفصيلية التي تَختلِف

فيها الأنظار؛ فيَذهَب بعض الناظرين إلى منعها وبعضهم إلى إجازتها كشأن الفروع في شريعتنا الإسلامية الحكيمة السَّمْحَة؛ فعدمُ تنبُّه الدكتور غفر الله له إلى هذا جَرَّه إلى هذا الحُكم الجائر على ابن المِبرَد رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولا تَظُننَّ أني بهذا التقرير أُرِيد أن أُسوِّغ لك طريق التصوُّف، وأحثَّك على سُلُوكه؛ كلَّا، وإنما أردتُ أن أُبيِّن لك طريق العِلم والإنصاف في التعامُل مع كلام العلماء، وهو عدم الحُكم على شيء منه إلَّا بعد الاستقصاء والتحرِّي، وتقريره كمَا هو دُون تدخُّلٍ منك، ثُمَّ احكُم عليه -إن كنتَ أهلًا لذلك- بما أداك إليه اجتهادُك وفَهمك.

فهذا هو الحقُّ والعدل والإنصاف في التعامُل مع كلام الناس، لا سيَّما مع كلام علمائنا وكُبرائنا نَقَلَةِ الشرع والعِلم إلينا، ولكن من الآفات التي أصابت كثيرًا منَّا أننا نَنطَلِق في الحُكم على الآخرين من خلال مذاهبنا وما اعتدنا عليه من الأقوال، وهذا مع الغفلة أو قِلة الاطلاع أو قصور الباع= مُوقِعٌ في مِثل ما رأيتَ. والله أعلم.



مصادر ابن المِبرَد

في كتابه «تهذيب النفس»

تقدَّم عند كلامنا عن منهج ابن المِبرَد في كتاب «**تهذيب النفس**» أن طريقته في الكلام عن الآداب؛ أنه يَذكُر الأدب ثُمَّ يأتي بشاهد عليه من الأحاديث المرفوعة أو الآثار الموقوفة أو المواقف الواردة عن التابعين أو مَن جاء بعدهم من العلماء.

ومن هنا تعدَّدت مصادر ابن المِبرَد، وهو في نقله عن هذه الكتب يَصِل إليها بإسناده في الغالب كمَا نبَّهنا على ذلك في أثناء كلامنا عن منهجه.

إلَّا أنه كان يَرجِع إلى بعض تلك المصادر أكثر من غيرها، ونحن نَذكُر تلك المصادر مرتبةً حسب كثرة رجوع ابن المِبرَد إليها؛ فمَا كان رجوعه إليه أكثر قدَّمناه ثُمَّ الذي يليه.

١- مسلسلات ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٢- مسند الإمام أحمد.

٣- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري (ت٣٣٣هـ).

٤- سنن ابن ماجه.

٥- صحيح البخاري.

٦- سنن الترمذي.

٧- فوائد أبي علي بن فضالة (ت٤٢٠هـ).

٨- فتوح الغيب، لعبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ).

٩- إطفاء حرقة الحوبة بإلباس خرقة التوبة، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ).

١٠- بدء العلقة بلُبس الخرقة، للمصنِّف نفسه.

هذه هي مصادره التي صرَّح بالنقل عنها، وثمة نُقولٌ لم يُصرِّح بنسبتها إلى أصحابها، فعزونها إلى ما غلَب على ظنِّنا أنه قد نقَل عنها، ومن هذه المصادر:

١- الزهد، للإمام أحمد.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم (ت٤٣٠هـ).

٣- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدِّثيها وذِكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، المشهور بـ«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).

٤- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

والمتأمِّل هذه المصادر يَجِد أنها يَغلِب عليها أمران: **الأول**: غَلبة كتب الحديث. **الثاني**: غَلبة أسماء المصنِّفين الحنابلة.

وهذا مِصداق ما قرَّرناه في أثناء ترجمة ابن المِبرَد من أنه كان يَغلِب عليه عِلمان: **الحديث. والفقه على مذهب السادة الحنابلة.**



ما لابن المِبرَد وما عليه

في كتابه «تهذيب النفس»

قد أَومأتُ مِن قبلُ أن المَقصِد من التأليف وما اعتاده أهلُ عصرٍ من نمطٍ أو أنماط فيه= حاكِمٌ ومُحكَّمٌ. ولهذا جاء كتاب «**تهذيب النفس**» على ما كان من عادة ابن المِبرَد في أكثر تصانيفه من الاختصار، وظهور مَقصِد التعليم فيه، ولهذا أَكثَرَ تلامذةُ ابن المِبرَد من قراءته عليه كمَا يَظهَر من سماعات الكتاب التي أثبتناها في ملحقٍ خاصٍّ في آخِر الكتاب.

وإذا حاكَمْنا الكتاب إلى هذه العادة وهذا المَقصِد نستطيع أن نَلحَظ بعض ما تميَّز به، ولعلَّ **أوَّلَ** ما نقِف عليه من هذا هو أن ابن المِبرَد استطاع مع هذا الاختصار أن يَجمَع قَدْرًا كبيرًا من آداب المتعلِّم التي أقام الكتاب من أجل بيانها، بحيث إذا أَنعمتَ النظر وجدتَ أنه يكاد يَكُون قد أحاط بها.

وثاني ما انماز به هو هذا الأسلوب التعليمي السَّلِس الذي تَشعُر بسريان رُوح النُّصْح والإرشاد فيه، وهذا ممَّا أسهم في وضوح عبارات ابن المِبرَد، بحيث يستطيع الواقف على كتابه هذا -ولو كان مقدار تحصيله من العِلم قليلًا- أن يَفهَم المراد منها دُون عنتٍ أو الاحتياج إلى مساعدة في ذلك في الغالب.

وأمَّا ما قد يؤخذ عليه من وجهة نظرنا فيَرجِع إلى مخالَفة مَقصِد الاختصار الذي سلَكه في كتابه هنا، وهذا في أمرين:

الأول: أنه كان يُورِد ما يستشهد به من أحاديث وآثار بإسناده، ولكون ابن

المِبرَد متأخِّرًا؛ فقد جعَل هذا الإسنادَ يَطُول وتكثُر رجاله، وليس هذا بمناسب للاختصار، ولكن يُعتذَر عنه في هذا -كما تقدَّمت الإشارة إليه- بأن هذه طريقته في أغلب كُتبه؛ لغلبة عِلم الحديث عليه.

الثاني: أنه أَورَد إسنادين من أسانيده في لُبس الخِرقة، استغرقَا ما يُقارِب لوحةً كاملةً من المخطوط، ثُمَّ أحال مَن يريد أن يقِف على باقي أسانيده في ذلك على كتابه «**بدء العلقة بلُبس الخِرقة**»، وقد كان الأليق والأنسب أن يُحِيل على هذا الكتاب ابتداءً دُون ذِكر أيِّ إسنادٍ.

ولعلَّ هذا أيضًا بسبب غلبة عِلم الحديث عليه، بالإضافة إلى أمرٍ آخَر، وهو ما ذكَره في نهاية كتابه «**بدء العلقة**»، إذ قال فيه: «ومَن نظَر في كتابنا «**النهاية**»[١] وغيره، علِم اتصال صُحبتنا بأعيان هذه الأمة، وإنما ذكَرنا هذه النبذة تبرُّكًا بهم، واستعذابًا لذِكرهم، حشَرنا الله معهم وفي زُمرتهم»[٢].

وهو ما يُمكِن أن يُعتذر به عنه أيضًا هنا. وفي هذا الذي ذكَره تنبيهٌ على ما يَنبغِي أن يكون عليه طالب العِلم من تبجيل العلماء وتعظيمهم، فتبجيلُ العلماء وتعظيمهم تبجيلٌ وتعظيمٌ للشريعة، وإذا نشأ طالب العِلم على هذا رُجِي انتفاعه بالعِلم، ومَن كان على غير هذا -أعاذنا الله-، لا يَنتفِع بالعِلم وإن شغَل حياته كلَّها بالسعي في تحصيله.

---

(١) يقصد كتابه «**النهاية في اتصال الرواية**»، وهو مطبوع.

(٢) «**بدء العلقة بلبس الخرقة**» (ص١٧٥).

أهمية كتاب «تهذيب النفس» وقيمته

لا شكَّ أن ليس كلُّ الكتب في تراثنا على مرتبةٍ واحدةٍ من جهة الإفادة والأهمية، وعلى هذا فلا يَنبغِي للعاقل أن يَبذُل نفيس وقته في تحقيق كتابٍ لا يَرَى من ورائه كبير نفعٍ، فإن مَن عالَج تحقيق النصوص، والعمل على إخراجها خاليةً من التصحيف والتحريف= يَعلَم قدر ما يَبذُله محقِّق النصِّ في ذلك!

ولا تلتفت إلى ما يَقُوله الأجانب عن هذه الصناعة من أنها سهلة ميسورة، فإن هؤلاء إمَّا أنهم لم يُعالِجوها، وإمَّا أنهم قد عالَجُوها ولكن على تصوُّر فاسدٍ منهم لها، كمَا رأينا في زمانِنا هذا مَن يَجعَل تخريج الأحاديث وتتبُّع طُرقها والحكم عليها مساويًا لكلمة التحقيق أو يكاد، وإذا طالعت شيئًا من أعمال هؤلاء رأيتَه يَظَلُّ يَتتبَّع الحديث وطُرقه وما قيل فيه وغير ذلك، في الصفحات ذوات العدد، حتى يُنسِيك كلام مصنِّف الكتاب والموضوعَ الذي نقَل فيه هذا الحديث! وهو مع ذلك لم يَقُم بما يَجِب عليه عملُه في النصِّ ممَّا تُوجِبه أصول صناعة التحقيق.

وهكذا كلُّ مَن يَكتُب في عِلم أو يَتكلَّم فيه دُون إتقانه، فإنك تراه في أثناء ذلك يَستدعِي مسائل ما يُحسِنه من الفنون الأُخرى، هذا إذا كان يُحسِنها على وجه الحقيقة، وإلَّا فإن مَن يَتصوَّر فنًّا ما على غير ما يَتصوَّره أهلُه، ثُمَّ تراه يُطلِق لنفسه العِنان في التحدُّث فيه وتقرير مسائله بكلِّ ثقةٍ وأَرْيَحِيَّة، فهذا يُشَكُّ ابتداءً في أصل فَهمه واستيعابه، وهذا لا شك مؤثِّرٌ بالسَّلْب في عِلمه بهذا الفنِّ الذي يَدَّعِي امتلاك ناصيته!

ولهذا فعندما وقفتُ على مخطوط «**تهذيب النفس**»، وقلَّبتُ النظر فيه، ثُمَّ سألتُ بعض مَن أثق في رأيهم ممَّن يؤخذ بكلامهم في مِثل هذا المَوضِع= رأيتُ القيام على تحقيقه وخدمته الخدمة اللائقة، وذلك لِنُهُوض أسباب ذلك عندنا، الداعيةِ إليه، وهذه الأسباب منها ما هو راجعٌ إلى أهمية الكتاب في نفسه، ومنها ما هو راجعٌ إلى أمر خارجٍ عن هذا، وهو أمر واحدٌ فقط، وبه نبدأ ذِكر هذه الأسباب:

١- أنني على كثرة البحث وسؤال أهل الخبرة، لم أَجِد للسادة الحنابلة كتابًا مفردًا في آداب العالم والمتعلِّم بين أيديهم يتدارسونه في مجالسهم، ويَشرحونه في دروسهم، وإن كانت ثمة كتبٌ تَتضمَّن الكلام عليها، كـ«الآداب الشرعية» لابن مفلح، وشرحَي «منظومة الآداب» لابن عبد القوي الحنبلي وغيرها من كتب الآداب للسادة الحنابلة، إلَّا أن هذه الكتب لم تَقتصِر على آداب العالم والمتعلِّم، بل تكلمت عن كثير من الآداب غيرها، كآداب السلام، وآداب المشي، وآداب النوم، وآداب الطعام والشراب، وغير هذه الآداب؛ فلم تكن آداب العالم والمتعلِّم محطَّ نظرها من جهة الأصالة.

ولمَّا كان بيان آداب العالم والمتعلِّم من الأهمية بمكان كما سبَق تقريره، ولهذا أفردها العلماء بالتصنيف، كان من اللائق أن يَكُون بين أيدي طلبة العِلم من الحنابلة كتابٌ لأحد علماء المذهب خاصٌّ بهم، كما أن لهم كتبهم الأصولية والفرعية الخاصَّة بهم.

٢- أنه كتابٌ مختصرٌ، ممَّا يَجعَله سهل المطالعة والمُدارسة، وهذا في مِثل هذا مُهِمٌّ؛ حتى يَنشط طالب العِلم لمراجعته مِرارًا وتكرارًا، فهذه الآداب

حَرِيٌّ بطالب العِلم إدامان النظر فيها.

٣- أنه اعتنى في هذه الآداب بالآداب المتعلِّقة بتهذيب النفس وإصلاحها؛ لتكون صالحةً لِأَنْ تَتلقَّى العِلم، لأنَّ تَحصِيل العِلم دُون إصلاح النفس وتهذيب الأخلاق مُضِرٌ بالعِلم ومُحصِّله.

وقد نبَّه ابن المِبرَد إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أن تهذيب النفس وإصلاحها عِلمٌ كغيره من العلوم، يحتاج طالب العِلم في تعلُّمه إلى شيخ يُبصِّره به، ويساعده في تخطِّي المعوِّقات التي تَعرِض له في أثناء تعلُّمه.

وقد اعتنى فيه ابن المِبرَد ببيان الآفات التي تُعِيق طالب العِلم عن تحصيل مقصوده، وتُعكِّر عليه بُغيته، والتحذير منها.

ولا شك أن كتابًا يُعالِج هذه الأمور ويَتناوَلها، لمُهِمٌّ، حقيقٌ على أن يكون بين أيدي طلبة العِلم.

٤- أنه مع اختصاره واعتنائه بالآداب التي تَتعلَّق بتهذيب النفس وإصلاحها، إلَّا أنه قد جمَع مُعظَم الآداب الخاصَّة بطالب العِلم، حتى لا يكاد يَنِدُّ عنه شيءٌ منها، فلم يَغفُل عن ذِكر آداب طالب العِلم مع شيخه، ولا ما يَنبغِي أن يَعتنِي بها طالب العِلم من علوم.

٥- أنه كان دائم الاستشهاد على ما يَذكُره من آداب بالأحاديث النبوية والآثار السلفية، وهذا ممَّا يَجعَل قارئ الكتاب يَزداد ثقةً بهذه الآداب.

٦- أن أسلوب عرضه للآداب كان أسلوبًا سهلًا سلِسًا يَغلُب عليه الطابع التعليمي الإرشادي، ممَّا ساعَد على سهولة عباراته ووضوحها.

٧- رجوعه إلى مصادر أصيلة بعضها ما زال مخطوطًا لم يُطبَع.

٨- تعليقه على بعض الأحاديث والآثار -وإن لم يَكثُر هذا منه- تعليقات مفيدة.

وممَّا يَدُلُّ على قيمة الكتاب أيضًا كثرة السماعات التي عليه، فقد سمِعه على ابن المِبرَد أكثر من أربعين تلميذًا من تلامذته، كما هو مثبتٌ في ملحق السماعات في آخَر التحقيق، حتى إنه قد قرئ عليه قبل موته بـ(١٣) يومًا، ولا شك أن هذا يَدُلُّ على أهمية هذا الكتاب عندهم، واعتنائهم به، ودوام قراءتهم له.

وكذلك ممَّا يَدُل على أهميته شراءُ ابن طولون الحنفي تلميذ ابن المِبرَد له من ابنه عبد الهادي -كما سيأتي ذِكره عند وصف النسخة الخطية-؛ فقد كان ابن طولون يَنتقِي من كتب شيخه ابن المِبرَد ما يُعجبُه ويَشتريه من أبنائه، كما هو ثابت بخطِّه على أكثر من نسخة خطية من كتب ابن المِبرَد التي بخطِّه.

وممَّا يُمكِن أن يَدخُل ضِمن أهمية الكتاب، هذه الأعلام الواردة في السماعات من تلامذة ابن المِبرَد؛ إذ لم أجد لكثير منهم ذِكرًا في كتب التراجم.



طبعةٌ لـ«تهذيب النفس»!

عندما جاءتني مصوَّرة النسخة الخطية لـ«**تهذيب النفس**»، ونَسَختُها، ثُمَّ شرَعتُ في العمل عليها= نَمَى إلى عِلمي في أثناء العمل أن ثمة مطبوعةً لـ«**تهذيب النفس**»؛ فبحَثتُ عنها لأَتحقَّق من هذا؛ فإن كانت جيدة ليس فيها ما يُبرِّر إعادة تحقيقها؛ توقَّفتُ عن العمل، إذ لا يَنبغِي بذلُ الوقت والجهد فيما هو محقَّقٌ على وجهٍ مرضيٍّ متاحٌ بين أيدي الباحثين، وإن كان غير هذا أَكملتُ عملي.

وبالفعل وبعد البحث والسؤال تأكَّدتُ من وجود هذه المطبوعة، ولكنها في عِداد المفقود، إذ لا يوجد منها على كثرة سؤالي وبحثي نسخةٌ عند أحدٍ ممَّن أعرف من المعتنين بجمع الكتب، وأصحاب دُور النشر الكبيرة، بل لا توجد في المكتبات العامَّة المشهورة بتتبُّع جديد الكتب ونفيسها، كمكتبة الدومنيكان وغيرها!

إلَّا أن مركز جمعة الماجد في دولة الإمارات العربية كان يَمتلِك نسختين من المطبوعة؛ نسخة من الطبعة الثانية، ونسخة من الطبعة الثالثة والتي فيها تصحيح واستدراك على الطبعة الثانية، وقد حصَلتُ على صورة من هذه الطبعة الثالثة من المركز ولله الحمد.

وهذه المطبوعة بتحقيق أديب الكمداني، والطبعة خاصة بالمحقِّق غير صادرة عن دار نشر! وبعد أن قرأتُ هذه المطبوعة قراءة فحصٍ وتدقيق، ظهَر لي ضرورة إعادة نشر الكتاب، فاجتمع عندي سببان لإعادة نشره:

١- عدم توفُّره بين أيدي القُرَّاء، حتى إن كثيرًا من المعتنين بتراث ابن المِبرَد من الذين قاموا بتحقيق كتبٍ له، لا يَعلمون عن هذه المطبوعة شيئًا، وكانوا في نقلهم عن «**تهذيب النفس**» يَرجِعون إلى المخطوط!

٢- السقط والتحريف والتصحيف الواقع في المطبوعة، وإطالة المحقِّق في تعليقاته إلى درجة أنك يُمكِن أن تَعتبِر تعليقاته شرحًا موسَّعًا على الكتاب، وغير هذا ممَّا يُعتبَر من مسوِّغات إعادة التحقيق.

ودُونك بيانٌ بما وقَع في المطبوع من أخطاء وتصحيف وتحريف وسقط وبعض التقصير في خدمة النص.

أولًا: السقط:

ما في المطبوعة	ما في نسختنا
(ص٢٥): شهادة تقوم ببعض حقه.	(ص١٢٥): شهادة تقوم لله ببعض حقه.
(ص٢٨): أخبرنا الزبيدي.	(ص١٢٧): أخبرنا ابن الزبيدي.
(ص٥٢): في مشيه دون ركوبه فإن طلب العلم...	(ص١٣٥، ١٣٦): في مشيه دون ركوبه، وترك جميع الأمور الدنيوية حتى ينال العلم، فإن طلب العلم...
(ص٥٣): مات أقرب الناس فلم يشهد.	(ص١٣٧): مات أقرب الناس إليه فلم يشهد.
(ص٧٦): شيخ الإسلام موفق الدين أبو زرعة المقدسي أخبرنا.	(ص١٤١): شيخ الإسلام موفق الدين أخبرنا أبو زرعة المقدسي أخبرنا.

(ص١٢٢): نصر محمد بن أحمد يقول: أبا حاتم.	(ص١٦٤): نصر محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حاتم.
سقط بمقدار (١٠) أسطر	(ص١٣١، ١٣٢): من قوله: «أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن المُحِب...» إلى قوله: «قال: فأَخرَج إليه لِسانَه؛ فقَبَّله. رحمة الله عليهما».

ثانيًا: التصحيف والتحريف:

ما في المطبوعة	ما في نسختنا
(ص٢٨، ٤٦): الرعبوب.	(ص١٢٧، ١٣٠): الزعبوب.
(ص٢٨): الصلاح بن أبي عمر: حدثنا.	(ص١٢٦): الصلاح بن أبي عمر: أخبرنا.
(ص٣٥): فأخرج يديه فقبلها زيد.	(ص١٢٩): فأخرج يديه فقبلهما زيد.
(ص٤٩): أخبرنا أبو منصور.	(ص١٣٣): أخبرنا أبو المنصور.
(ص٤٩): القاضي أبو محمد الشعبي.	(ص١٣٣): القاضي أبو محمد السفني.
(ص٦٠): حدثنا زيد بن أخزم.	(ص١٣٧): حدثنا يزيد بن أخزم.
(ص٨٨): وهو لبسها من يد أبي الحسن اليكلدي.	(ص١٤٣): وهو لبسها من يد أبي الحسن الهكاري.

(ص٨٩): ولبست منه الخرقة من شيخهما الذي ألبسهما الخرقة شيخ الإسلام أبو الحسن.

(ص٩٤): وعلى من فوقك حسد.

(ص٩٧): فأْمرهم بالتواصي بالحق.

(ص١٠٩): لتنفر قلوب الناس من التعلم.

(ص١١٢): كما صح في الحديث في الرجل.

(ص١١٣): ويحجب.

(ص١١٤): الليث الحرب.

(ص١١٦): بالرقة والذل.

(ص١١٩): يحفظ ثماني وعشرين.

(ص١٢٠): فذكَر أمره للخليفة.

(ص١٢١): سمعت عبد الواحد بن إسماعيل الفارسي.

(ص١٢٢): سمعت حسين بن جعفر.

(ص١٢٣): في أقدامهم الأغلال.

(ص١٤٥): ولبست منه الخرقة، وشيخهما الذي ألبسهما الخرقة شيخ الإسلام أبو الحسن.

(ص١٤٦): وعلى من فوقك قحة.

(ص١٥٢): فأْمرهم بالتواصل بالحق.

(ص١٥٦): لتنفر قلوب الناس عن التعلم.

(ص١٥٨): كما صح في الحديث عن الرجل.

(ص١٥٩): والحجب.

(ص١٥٩): الليث الحرد.

(ص١٦١): بالرفق والذل.

(ص١٦٢): يحفظ مئة وعشرين.

(ص١٦٣): فذكَر أمرها للخليفة.

(ص١٦٥): سمعت عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي.

(ص١٦٧): سمعت الحسين بن جعفر.

(ص١٦٩): في أعناقهم الأغلال.

(ص١٢٣): سمعت سهيل بن عمر.

(ص١٢٣): سمعت محمود بن محمد.

(ص١٢٥): وصلى الله على نبينا محمد.

(ص١٢٥): شهر ربيع الآخر الثاني في سنة.

(ص١٢٥): وذلك في منزله من صالحية دمشق.

(ص١٢٧): والولد محمد بن عبد الرحمن.

(ص١٢٧): والزين عمر بن يحيى بن محمد.

(ص١٢٧): الزين عبد اللطيف بن أحمد بن عيسى الشرقي.

(ص١٢٧): عبد الواحد بن عمر النجاد.

(ص١٦٩): سمعت سهل بن عثمان.

(ص١٦٩): سمعت محمويه بن محمد.

(ص١٧٥): وصلى الله على سيدنا محمد.

(ص١٧٦): شهر ربيع الآخر الذي في سنة.

(ص١٧٧): وذلك في منزله في صالحية دمشق.

(ص١٨٠): والولد محيي عبد الرحمن.

(ص١٨٠): والزين عمر بن يحيى بن محرز.

(ص١٨٠): الزين عبد اللطيف بن أحمد بن عيسى السرجي.

(ص١٨١): عبد الواحد بن عمر النجار.

ثالثًا: التصرُّف في النص:

فقد تصرَّف المحقِّق في النص؛ بالزيادة فيه تارةً دُون تنبيه، وبالتغيير تارةً أخرى.

ما في المطبوعة	ما في نسختنا
(ص٦١): تشعبت به الهموم في أحوال.	(ص١٣٨): تشعبت به الهموم [في] أحوال.
(ص٧٣): سمعت النبي.	(ص١٤١): سمعت رسول الله.
(ص٧٦): عن جابر رضي الله عنه.	(ص١٤٢): عن جابر بن عبد الله.
(ص١١١): قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله.	(ص١٥٨): فقال: سألتُ أحمد بن حنبل. قال: فتَبسَّم.
(ص١١١): تلين.	(ص١٥٨): تطمئن.
(ص١٢٥): وكتب يوسف بن حسن ابن عبد الهادي.	(ص١٧٥): وكتب يوسف بن عبد الهادي.

رابعًا: التقصير في خدمة النص:

ثمة أمور يَنبغِي على المحقِّق القيام بها فيما يتعلَّق بخدمة النص، التي تساعد على إضاءته، وتذليل استفادة القارئ منه؛ منها تخريج الأحاديث والآثار، والتنبيه على الأوهام والأخطاء التي قد يقع فيها المصنِّف، وتبيين المبهَم في كلامه، وغير ذلك، وقد غفَل محقِّق المطبوعة عن بعض هذه الأمور.

ومنها في (ص٥٢) عدم تخريجه قول الإمام أحمد عن تصحيح النية في العلم: «ينوي يتواضع، وينفي عنه الجهل».

وكذلك في (ص١٢١) لم يُخرِّج قول سفيان بن عيينة: «طلبت هذا العلم عشر سنين... إلخ».

في (ص٥٢) تابع التحريف الذي وقَع في المخطوط: سمعت أبا بكر الزقاق. والصواب كما في عملنا: أبا علي الدقاق.

في ص (٦٠) جاء في إسناد المصنِّف قوله: المشايخ الثلاثة. ولم يُبيِّن المحقِّق مَن هؤلاء، مع أن المصنِّف قد بيَّن في أكثر من كتاب له مَن هؤلاء المشايخ الثلاثة، كما بيَّنَّاه في موضعه من تحقيقنا.

إلى غير ذلك من ترك أمور في كلام المصنِّف تحتاج إلى تعليق وبيان، ودُون التعليق والبيان قد يُفهم كلام المصنِّف على غير وجهه أو يفوت الوقوف على فائدة لا تَظهَر إلا بهذا التعليق، وكلُّ هذا ستراه بحَوْل الله تعالى في تعليقاتنا.

هذا بالإضافة إلى أن المحقِّق عفا الله عنَّا وعنه تزيَّد جدًّا في تدعيم كلام المصنِّف بمزيد من الأحاديث والآثار والنقل عن العلماء، حتى إنه يُنسِيك كلام المصنِّف نفسه، إلى درجة أنْ وصَل تعليقه على كلام المصنِّف في أحد المواضع إلى ثماني صفحات؛ من (ص٧٧-٨٥)!

وكلُّ هذا لا يَجعَلنا نَغمِط ما بذَله المحقِّق من جُهدٍ في تحقيقه هذا، ولا كان قصْدنا الحَطَّ منه؛ لنَرفَع من شأن تحقيقنا، معاذ الله، وإنما هو حقُّ العِلم، ولِيَعلَم القارئ أننا قد أَحَطنا بهذه الطبعة عِلمًا، وهو من شروط إعادة التحقيق في نظرنا، وإن كان نُدُور وجود هذه الطبعة وعدم توفُّرها بين أيدي الباحثين

وطلبة العِلم -كما أخبرتُك من قبل-، كافيًا في ضرورة إخراج الكتاب مَرَّة أخرى، فكيف إذا اجتمع مع هذا ما أَوقَفتُك عليه في هذه الطبعة مِن سقط وتصحيف وتحريف، وتصرُّفٍ في النصِّ وغير هذا ممَّا قد رأيتَ!



وصف النسخة الخطية المعتمدة

ليس لكتاب «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**» إلَّا نسخة واحدة، وهي بخطِّ المؤلِّف المعروف، ولا شك أن الوقوف على نسخة المؤلِّف هو غاية ما يَرجُوه المحقِّق، هذا هو الأصل، إلَّا أن الأمر مع كتب ابن المِبرَد يَختلِف، إذ يَرجُو مَن يُريد تحقيق كتاب له أن يَحصُل على نسخة أخرى غير نسخته، وذلك لرداءة خطِّه واشتباكه، وإهماله ما يحتاج إلى إعجام، وقد نبَّه على ذلك الشطي في «**مختصر طبقات الحنابلة**»[1] بقوله: «وكان كثير الكتابة سريعَ القلم، وقلَّ مَن يُحسِن قراءة خطِّه؛ لاشتباكه وعدم إعجامه».

وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجوع تحت رقم ٣٢١٦ت٢، في ١٦ ورقة [٥٠-٦٥]، ولها صورة في الجامعة الإسلامية تحت رقم١٥٦٣، وقد حصلنا على صورة من الصورة التي في الجامعة الإسلامية، إلَّا أن هذه الصورة كان تصويرها غير جيد، ممَّا صعُبت معه قراءة مواضع من المخطوط، تداركتُها بشيء من التأني والرجوع إلى كتب ابن المِبرَد الأخرى ومصادره التي اعتمد عليها.

ثُمَّ حصَلتُ بفضل الله تعالى على صورة من نسخة الظاهرية، وهي في غاية الوضوح، فتأكَّدتُ بالمقابلة عليها ممَّا كنتُ منه في شكٍّ.

ويَضُمُّ الكتاب المتنَ والسماعات التي عليه، ويقع المتن في ١٣ ورقة، والسماعات في ٣ ورقات.

---

(١) (ص٨٦).

والورقة في صفحتين، وعدد الأسطر متفاوت ما بين (١٤-٢٢) سطرًا، ولكن الغالب أنها (١٦) سطرًا، والسطر يحتوي على نحو (١٣) كلمة.

وقد كتَب ابن المِبرَد هذه النسخة بخطِّه المعتاد، وكان يزيد ألِفًا بعد الواو المتطرفة التي لغير الجمع، مثل: يلهوا، ويقفوا.

وكذلك كان يَكتُب الاسم المنقوص المنوَّن بالياء، مثل: وادي، منادي.

وكذلك كان يَرسِم الألف المتطرفة ألِفًا في بعض الكلمات، والجادَّة فيها أن تُكتَب بالياء مثل: عادا. يريد الفعل: عَادَى.

وكذلك كان يَحذِف الألِف الحشوية -كما هو معروف معهود- من الأعلام المشتهرة في الاستعمال، مثل: هرون (هارون)، عثمن (عثمان)، سفين (سفيان)، معوية (معاوية) وغيرها.

وقد فرَغ ابن المِبرَد من هذا الكتاب -كما هو بخطِّه في نهايته- في يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول سنة ٨٨٩هـ.

والنسخة بها لَحْقٌ وطَيَّارة نبَّهتُ عليهما في مَوضِعهما من التحقيق، وعلى النسخة تعليقٌ من ابن طولون على مَوضِع من كلام المصنِّف، نبَّهْنا عليه في مَوضِعه، وناقشناه فيه.

وعلى النسخة أيضًا سماعات بعد نهاية النصِّ؛ اثنان منها لابن طولون الحنفي بخطِّه وعليهما إجازة من المصنِّف، وثمة سماعٌ لأبي القاسم الوادي آشي بخطِّه، وباقي السماعات بخطِّ ابن المِبرَد نفسه، وأحد هذه السماعات كان على صفحة العنوان، ولكثرة هذه السماعات عمِلنا لها ملحقًا بعد نهاية التحقيق.

وعلى صفحة العنوان بخطِّ المصنِّف أسماءُ باقي كتب المجموع الذي فيه كتابه «**تهذيب النفس**»، فكتَبَ بجانب العنوان: «وفيه: الأربعين[١] المسلست[٢]، وفيه أربعين جابر، وجزء من حديث ابن نَجِيح، وأربعين مسلسلة بالقول، والأربعين المختارة من صحيح مسلم، وجزء مَن اسمه شُعبة، والثلاثين عن أحمد من مسلم، وجزء من فوائد الصفار، وأربعين من عوالي جَدِّي، وكتاب الطهارة لابن أبي داود».

وعلى صفحة العنوان أيضًا تملُّك بالشراء لابن طولون بخطِّه، هذه ألفاظه: «مَلَكَه من ابن مؤلِّفه عبدِ الهادي محمدُ بن طولون الحنفي».

والنسخة فيها بعض الأخطاء والتصحيف والتحريف -لعلها بسبب السرعة التي كان يَكتُب بها ابن المِبرَد- نبَّهْنا عليها في مواضعها من التحقيق.

وممَّا يُمكِن أن يَدخُل ضِمن هذا كتابة ابن المِبرَد بعض الكلمات بالضاد، والجادَّة فيها الظاء، ككلمة: (لحْضهم) يقصد (لحْظهم)، وكلمة: (واضَب) يقصد (واظَب)، ولعلَّ هذا منه ممَّا سبَق به معتادُ كلامه قَلَمَه، إذ اللغة اليومية المعتادة تَسبِق إلى المرء أسرع من اللغة الفصيحة غير المعتادة في الكلام، ولهذا لم يُستشَهد بكلام علماء العربية؛ لاحتمال أن يَرِد اللحن في عباراتهم

---

(١) هكذا على أنها مجرورة على تقدير: كتاب الأربعين.

(٢) كذا في الأصل. ولعلها: **المسلسلات**.

ثم وجدتُ المصنِّف في كتابه «**فهرست الكتب**» (ق١٢/ و) يقول: «ومجموعٌ فيه: **تهذيب النفس**، و**المسلسلات**، وأربعين جابر، والأربعين المسلسلة بالقول، وأربعين من صحيح مسلم، والثلاثين التي رواها عن أحمد، وأربعين من عوالي جَدِّي، والطهارة لابن أبي داود. غالِبُه من تصنيفي». انتهى.

بسبب إلف أو ذهول، والضاد والظاء يأتي كلٌّ منهما مكان الآخر في بعض الكلمات في بعض اللغات العامية، بل في بعض لغات العرب، لا سيَّما أن ابن المِبرَد كان يَكتُب من حفظه، وكان سريع الكتابة، لا يكاد يَدَع قلمه وهو يَكتُب، ولهذا كان كلامه متشابكًا غير منقوط في الغالب، وقد تقدَّم التنبيه على ذلك.

ثُمَّ وجدتُه في كتابه «**جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر**»[1] قد كتَب كلمة أخرى بالضاد، وهي كلمة (أيقض) يقصد (أيقظ)؛ ممَّا يؤكِّد أن هذا منه مطَّرِد في كلمات معيَّنة، وليس هو من باب السهو.

ولكننا لا نَرضَى عن توجيه محقِّق كتاب «**جمع الجيوش**» كتابةَ ابن المِبرَد هذه الكلمة بالضاد؛ إذ ذكَر أن ابن المِبرَد كتَبها على لُغة مَن يَكتُب الظاء ضادًا من العرب! إذ الذي ذكَره لا تؤيِّده كتابة ابن المِبرَد غير هذه الكلمات بالظاء، وهو الأكثر! ولا هو معتاد العلماء في كلامهم في تصانيفهم أن يَتكلَّموا باللغات القليلة غير المشهورة. والله أعلم.

---

(١) (ص٤٨٠).

منهج العمل في الكتاب

ألزمتُ نفسي منذ بداءة العمل في تحقيق الكتاب بمنهج يتناسب مع مقصدَي الكتاب -قدر الإمكان-، وهُما مقصد الاختصار، والمقصد التعليمي؛ فقد راعيتُ هذين المقصدَين، على مستوى خدمة النصِّ والتعليق عليه، وعلى مستوى الدراسة التي قدَّمنا لتحقيق النصِّ بها، فراعيتُ في هذا كلِّه عدمَ الإطالة والتزام ما يؤدِّي الغرض فقط وعدم الزيادة على ذلك، إلَّا في مواضع اضطررتُ إلى مخالفة هذا اضطرارًا؛ لمراعاة مقاصد أعلى؛ وهي توضيح ما ليس بواضح، أو بيان مجمل، أو دفع إيهام، أو استقصاء أمرٍ يترتب عليه الوقوف على فائدة لا تَظهَر إلا بهذا الاستقصاء.

فأمَّا قسم الدراسة؛ فترجمتُ فيه للمؤلِّف ترجمةً متوسطة، اعتنيتُ فيها بتتبُّع ما أَغفَله مَن ترجم للمصنِّف من الباحثين قدر الإمكان، وفي أثناء الترجمة توقفتُ مع الدكتور الشريف حاتم العوني مناقشًا إياه فيما نَسَبه إلى ابن المِبرَد من نقص في العلم والأدب، وفيما ذكَره عنه من أن عامَّة كتبه تافهة، وهذا من المواضع التي خالفتُ فيها منهج الاختصار.

وجعلتُ للكتاب مدخلًا؛ تكلمتُ فيه باختصار عن آداب العالم والمتعلم وأهمية التصنيف فيها، ثُمَّ تكلمتُ عن جهود الحنابلة في التصنيف في آداب العالم والمتعلم، وعن تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى ابن المِبرَد، ومنهجه في الكتاب، وكذلك تكلمتُ عن طالب العِلم ولُبس الخِرقة، لأن ابن المِبرَد

ذكَر لُبس الخِرقة ضِمن آداب المتعلِّم، فبيَّنتُ سبب وضْعه لُبس الخرقة ضِمن هذه الآداب، وعلاقة ذلك بالتصوُّف، وهذا جرَّنا إلى مناقشة الدكتور البطاطي فيما قرَّره من أن ابن المِبرَد قد شارك في التصوُّف المبتدَع، وبيَّنتُ أنه بتقريره هذا كان ظالمًا لابن المِبرَد، غافِلًا عن قواعد العِلم وأصول النظر، وهو من المواضع التي خالفتُ فيها مسلك الاختصار أيضًا.

ثُمَّ تكلمتُ عن مصادر ابن المِبرَد وموارده في الكتاب، وما للكتاب وما عليه، وأهميته وقيمته، ثُمَّ فصَّلتُ في عرض المطبوعة السابقة من جهة ما اعتراها من سقط وتحريف وتصحيف، بالإضافة إلى التنبيه على أنها نادرة الوجود.

وبعد هذا وصفتُ النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق، والمنهج الذي اتبعناه في عملنا على الكتاب.

أمَّا قسم التحقيق؛ فقد تبِعتُ فيه الخطوات التالية:

١ - نَسختُ النسخة الخطية المعتمدة (نسخة المؤلِّف)، ثُمَّ قابلتُ المنسوخ على المخطوط أكثر من ست مرات؛ لأزداد ثقةً بما نَسختُ، لِمَا أَخبرتُك به قبلُ من شأن خطِّ ابن المِبرَد!

٢- أَثبتُ ما جاء في المخطوط على وجه الخطأ، وأشرتُ إلى الصواب في الهامش؛ لأن في هذا دليلًا على ما ذكَرتُه من كلام الشطي من أن ابن المِبرَد كان سريع الكتابة، وهذا جعَله -كما يقول كثير من الباحثين المعاصرين الذين خدموا كُتبه- يَقَع في أخطاء، أو جعَله يَكتُب على ما اعتاده من لغة في حياته اليومية، وهذا -أي الكتابة على معتاد لغته اليومية- قد حصَل له في موضعين،

نبَّهتُ عليهما في موضعهما، ولكني خالفتُ هذا فيما يتعلَّق بالأحاديث النبوية والآثار؛ فأذكُر الصواب في المتن، وأنبِّه على الخطأ الذي في المخطوط في الهامش، بعد التأكُّد من أن ما ذكَره ابن المِبرَد ليس من قَبِيل اختلاف الروايات.

٣- قدَّمتُ في تخريج الأحاديث والآثار المصدر الذي روَى المصنِّف الحديث أو الأثر من خلاله وإن كان أقلَّ صحة من غيره؛ فأقدِّم مَثلًا ذِكر «**مسند أحمد**» على «**الصحيحين**» إن روَى ابن المِبرَد الحديث عن طريق «**المسند**»، هذا مع نقلِ حُكم أحد الحُفَّاظ على كلِّ حديث أو أثر خارج عن «**الصحيحين**».

٤- لم أترجم إلا لغير المشاهير، إلا الأعلام التي أوردها ابن المِبرَد في إسناده إلى صاحب القول، لأنه -كما سبَق بيانه- كان يُورِد الأحاديث والآثار والأقوال بأسانيده إلى قائليها، فهؤلاء لم أترجم لهم؛ لأن ذِكرهم عارضٌ، وليس مقصودًا لذاته، بالإضافة إلى أن تتبُّع هذا يُخرِجنا عن مقصد الاختصار الذي التزمناه، واستثنيتُ من هذا شيوخَ ابن المِبرَد -ولكني ترجمتُ لهم ضِمن شيوخه في أثناء الترجمة له-، وصاحبَ القول الذي وصَل ابن المِبرَد بإسناده إليه إن كان غير مشهورٍ.

٥- علَّقتُ على ما يحتاج إلى تعليق؛ من إيضاح ما يحتاج إلى إيضاح، أو تعريف بغريب أو مصطلح، أو بيان مجمل، أو دفعِ إيهام، أو ذِكر فائدة مهمة أو تنبيه مهم في رأينا، وقد يَطُول تعليقنا في بعض المواضع؛ لضرورة الإطالة فيها من وجهة نظرنا.

٦- لم يُقسِّم ابن المِبرَد كتابه إلى أبواب أو فصول، ولعلَّ ذلك لكونه مختصَرًا، فوضعتُ لكلِّ فكرة مكتمِلة في النصِّ عنوانًا بين معكوفين [ ]؛ من باب تيسير فَهم النصِّ وتقريبه للقارئ.

٧- صنعتُ ملحقًا بالسماعات الواردة على المخطوط؛ لكثرتها، ولِكثرة ما ورَد فيها من أعلام من تلامذة ابن المِبرَد لم يَرِد ذِكر كثير منهم في كتب التراجم.

٨- صنعتُ كشافًا للأحاديث، وكشافًا للآثار، وكشافًا للأعلام المترجَم لهم في النصِّ المحقَّق، وكشافًا للمصادر، وكشافًا للفوائد المبثوثة في الدراسة وهوامش النصِّ المحقَّق، ثُمَّ فهرسًا لموضوعات الكتاب.

وبعدُ؛ فها هو ما بذلتُه من جهدٍ بين يديك، ويَعلَم الله أني لم أدَّخر شيئًا كان في وسعي لخدمة النصِّ إلَّا فعَلتُه، وإن كان ثمة أخطاء، فهي راجعة إلى السهو والغفلة اللذَينِ لا بُدَّ أن يَعترِيَا الإنسان، أو إلى الجهل الذي أخَذ بنصيب منه كلٌّ من الإنس والجان، وما كان من الأعمال على هذه الحال، فحريٌّ بك أن تَلتمِس لأصحابها العُذر فيما كان، وأن تُبيِّن ما وجَدتَه من خللٍ بعِلم وعدلٍ وإحسان.

ولا أَنسَى في هذا المقام أن أَشكُر كلَّ مَن عاونني في شيء من هذا العمل أو استفدتُ منه فيه شيئًا، وأخصُّ بالذِّكر زوجتي الغالية التي شاركتني في مرحلة المقابلة، وصبَرت على انشغالي عنها بهذا العمل وبغيره، فجزاها الله خيرًا. وأخي الحبيب أحمد رشدي الذي جاءني بصورة من مصورة الجامعة الإسلامية، بارك الله فيه وفي أهله وأولاده. وصديقي الكريم محمد يوسف الذي قابل معي المنسوخ على المخطوط أكثر من أربع مرات، وصبَر على

ذلك، فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه وفي زوجه، ورزقهما بالولد الصالح في عافية. وصديقي الخَلُوق المحترم والشاعر المُجيد المُتقِن محمد المعصراني الذي جاءني بصورة من المطبوعة من مركز جمعة الماجد، جزاه الله خير الجزاء.

ولا أَنسَى أيضًا الأخ الفاضل عبد العاطي الشرقاوي أبا يعقوب الذي أَتحفَني بصورة من نسخة الظاهرية للكتاب، فجزاه الله خيرًا، وأعانه على مشروعه الفخم، وأتمَّه له على خير، وتقبَّله منه، آمين. وكذلك صاحبي وأخي الكريم حسام الضرغامي الذي نسَّق الكتاب على الرغم من انشغاله بأبحاثه وتحقيقاته الخاصَّة به، فجزاه الله خيرًا، وبارك في أهله وأولاده.

والحمد لله أوَّلًا وآخِرًا، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، وارضَ اللهم عن علمائنا وسادتنا نَقَلَة الشرع والدِّين، وعنَّا معهم بفضلك وجُودك يا أكرم الأكرمين.

وكتب

أحمد فتحي البشير

بمصر بلد الأزهر الشريف

حرسه الله من كل سوء

في يوم السبت ١٨ صفر ١٤٤٠هـ

الموافق ٢٧ من أكتوبر ٢٠١٨م

نماذج

من النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق

صفحة العنوان

الصفحة الأولى

الصفحة الأخيرة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
وبعد فقد سمعت من لفظ سيدنا ومولانا وشيخنا
ومفيدنا الشيخ الامام العالم العلامة المحدث الفهامة
المسند المحدث المكثر ذي التصانيف العديدة
والتآليف المفيدة جمال الدين ابي المحاسن يوسف
بن عبد الهادي الحنبلي الصالحي اعاد الله علينا من بركاته
وبركة علومه في الدنيا والاخرة كتابه هذا ومن تصنيفه
[illegible] النفس للاصلاح [illegible] بمنزله [illegible] في
ليلة الخميس لست خلون من شهر ربيع الاخر الذي من سنة
ثلاث وتسعين وثمان مائة وذلك بمنزله من صالحية
دمشق المحروسة واجاز المسمع نفع الله به لمن سمعه
[illegible] عنه وجميع ما يجوز له وعنه روايته
بشرطه المعتبر عند اهل الفن والاثر قال ذلك
وكتبه [illegible] الفانية ابو القاسم بن علي بن محمد البستي
ثم الاندلسي ثم الوادي آشي المالكي وفقه الله تعالى مصليا
ومسلما على [illegible] معظما مبجلا

سماع بخطِّ أبي القاسم الوادي آشي تلميذ المصنف

الحمد لله

قرأت هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبي المحاسن يوسف
ابن القاضي بدر الدين حسن ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادي العمري العدوي القرشي
الحنبلي أدام الله للأنام ونفع به الخاص والعام فسمعه البرهان أبو إسحاق إبراهيم بن عبد
الوهاب بن محمد الخطيب المرداوي الحنبلي والشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله [illegible]
الحوراني الغزالي الشافعي والموفق أبو [illegible] عبد الله بن عبد الله بن زيد الجراعي الحنبلي وعماد الدين
إسمعيل بن محمد بن حسين الهكاري الحموي وتقي الدين أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر [illegible] وغلامه
الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب المصري الأبياري الحلبي وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم
[illegible] وعبد القادر بن علي بن محمد بن الأعمش [illegible] وصح ذلك وثبت في يوم الثلاثاء
[illegible] شهر شعبان سنة [illegible] بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بصالحية دمشق وأجاز لهم أن يرووه
عنه وما له روايته بشرطه عند أهله والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكتبه محمد بن طولون الحنفي لطف الله به

صحيح ذلك وأجزت لهم أن يرووه عني وجميع ما يجوز لي
وعني روايته والله [illegible]
يوسف بن عبد الهادي

الحمد لله

ثم قرأته ثانيا عليه [illegible] أدام الله [illegible] للأنام [illegible] فسمعه الشيخ [illegible]
[illegible] الشافعي نفع الله به وعلاء الدين [illegible] عبد الكريم [illegible] الشهير بابن [illegible]
[illegible] القابوني [illegible] الحنفي وولده [illegible] علاء الدين [illegible] والتاج محمد
[illegible] الذهبي [illegible] الشمس محمد [illegible] أبي بكر [illegible] الشافعي [illegible]
[illegible] محمد [illegible] حسن [illegible] وغيرهم وصح ذلك وثبت
في يوم الجمعة بعد الصلاة [illegible] عشر شهر ذي القعدة سنة [illegible] وتسعمائة بالجامع الأموي
[illegible] بدمشق المحروسة وأجاز لهم أن يرووه عنه وما له [illegible] روايته بشرطه عند أهله
والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه [illegible] وكتبه
محمد بن طولون الحنفي
عفا الله عنهما

سماعان بخطّ ابن طولون الحنفي تلميذ المصنف

النَّصّ المحقَّق

[١/و] / كتاب

تهذيب النفس للعلم وبالعلم

وضْع كاتبه

يوسف بن عبد الهادي




[مقدمة المؤلِّف]

/  [١/ظ]

وهو حسبي

الحمد لله الذي شرَّف بالعِلم مَن شاء مِن خَلقه، وتَفضَّل بالإنعام بزائد خيرِه ورِزقه، أَحْمدُه كُلَّما لَمَع رَعْدٌ ببَرْقه، وجاد سَحابٌ بوَدْقه[١]، وأَشهَد أنْ لا إله إلَّا الله وحدَه لا شرِيك له شَهادَةً تَقُوم لله ببعض حَقِّه، وأَشهَد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله المُعترَف له في البلاغ بصِدقِه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً تَفُوح بعَرْفها ما بين غَربِ الوجود وشَرقِه، وسلَّم تسليمًا.

[طلبُ العِلم أفضل الأعمال]

وبَعدُ، فإنَّ أفضل الأعمال وأزكاها وأتمَّ دَرَج[٢] الخَير وأَعلاها= طلبُ العِلم الشَّريف المُكرَّم، والاجتهادُ في تحصيله؛ فإنَّ بذلك تَحصُل للمرء الرِّفعة في الدُّنيا والآخِرة؛

أخبرنا جَدِّي[٣]، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري،

---

(١) الودق: المَطَر كلُّه؛ شديده وهيِّنُه. راجع: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٩٦) (و د ق).

(٢) الدرج: المَرَاقِي والمراتب والدرجات. ويقال: تَرقَّى في العلم: إذا رَقِيَ فيه درجةً درجةً. راجع: «الصحاح» للجوهري (١/ ٣١٤) (د ر ج)، (٦/ ٢٣٦١) (ر ق ي).

(٣) تقدَّمت ترجمته ضمن شيوخ المصنِّف في مقدمة التحقيق.

أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدَّثني أَبِي، حدَّثنا عفَّان، حدثنا حمَّاد -يعني ابنَ سَلَمة-، أخبرنا جَبَلَة بن عطية، عن عبد الله بن مُحَيرِيز،

عن معاوية بن أبي سفيان، أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ**»(١). وقد رُوِّيناه في «**الصحيح**»(٢) بلفظ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

[تصحيح النية في طلب العِلم]

[٢/و] / فعَلَى طالِب العِلم أَوَّلًا أن يُصحِّح نيَّته، ويَجتهِد في حُسنِ النِّيَّة جَهْدَه؛

فقد أخبرنا جَدِّي -فيما قرئ عليه وأنا أسمَع-، أخبركم الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدَّثني أَبِي، حدَّثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التَّيمِي، عن عَلْقَمة بن وَقَّاص اللَّيْثي، قال:

سمِعتُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقُول: سمِعتُ رسول الله ﷺ يقُول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٣).

---

(١) مسند أحمد (١٦٨٣٤).

(٢) البخاري (٧١)، (٣١١٦)، (٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) مسند أحمد (١٦٨)، والبخاري (١)، (٦٦٨٩)، (٦٩٥٣).

أخبرنا الجماعة، أخبرنا ابن الزَّعْبُوب، أخبرنا الحَجَّار، أخبرنا ابن الزَّبِيدِي، أخبرنا السِّجْزِي، أخبرنا الدَّاوُدِي، أخبرنا السَّرْخَسِي، أخبرنا الفَرَبْرِي، أخبرنا البخاري، قال:

قال مُجاهِد: لَا يَتعلَّم العِلمَ مُستَحيٍ ولَا مُستكبِرٌ[1].

[ماذا ينوي طالب العلم في التعلُّم]

ويَنبغِي لطالِب العِلم أن يَكُون من نيَّتِه في التَّعلُّم أن يَعلَم أمر دِينِه، وأن يَنفَع النَّاس بعِلمه، ولو قصَد بالتَّعلُّم أن يَصِير من أعيانِ النَّاس بالعِلم ومن أهلِ الفضل / والتَّعليمِ، لم يَضُرَّه ذلك؛ فإنَّ أهل العِلم هُم خِيرة الله من خَلقِه، وهُم [٢/ ظ]
القَصْد[2]؛

كما أخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد، قال:

---

(١) أورده البخاري معلَّقًا في كتاب العلم، باب الحياء في العلم (١/ ٣٨). ووصله أبو نُعَيم في «**حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء**» (٣/ ٢٨٧)، قال ابن حجر في «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**» (١/ ٢٢٩) عن إسناد أبي نُعَيم: «وهو إسناد صحيح على شرط المصنِّف»، وراجع: «**تغليق التعليق على صحيح البخاري**» له أيضًا (٢/ ٩٣).

(٢) أي: هُم مَن يأتمُّ الناس بهم في سلوك الطريق المستقيمة الراشدة، وهو من المجاز. راجع: «**معجم مقاييس اللغة**» لابن فارس (٥/ ٩٥) (ق ص د)، و«**أساس البلاغة**» للزمخشري (٢/ ٨١) (ق ص د).

قال أَبِي وقد سُئل: مَن النَّاس؟ قال: ما النَّاس إلَّا مَن قال: حدَّثنا وأَخبَرنا[(١)].

(١) أخرجه أبو بكر الدينوري في «**المجالسة وجواهر العلم**» (٨/ ١٢١) (٣٤٣٨)، قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي... إلخ.

ولنا على سَند هذا الأثر ثلاثة تنبيهات:

التنبيه الأول: أن هذا الأثر بهذا اللفظ عن الإمام أحمد رَضِوَاللهُعَنهُ لم أجد أحدًا رواه إلا من طريق الدينوري، لكن من **طريقَين**:

الأول: طريق عبد الله بن الإمام أحمد. وهو الطريق الذي ذكَره الدينوري في كتابه «**المجالسة وجواهر العلم**» كما سبَق.

الثاني: طريق صالح بن الإمام أحمد. وكلُّ مَن روَى هذا الأثر -ممَّا وقَفتُ عليه- عن الدينوري إنما رواه من طريق صالح، **وهُم**:

- القاضي عياض في «**الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**» (ص٢٨).
- أبو الوليد ابن الفرضي كما نقَله عنه ابنُ بشكوال في كتاب «**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**» (ص٢٥٠).
- يحيى بن منده كما نقَله عنه ابنُ رجب الحنبلي في «**الذيل على طبقات الحنابلة**» (١/ ٣٠٥).

وبذلك يكون الدينوري قد روَى هذا الأثر عن الإمام بسماعه من ابنَيه: صالح وعبد الله. وكلاهما من شيوخه، لكنه اكتفى في كتابه «**المجالسة**» برواية الأثر من طريق عبد الله.

وقد قال محقِّق كتاب «المجالسة» عن هذا الأثر: إسناده صحيح.

التنبيه الثاني: أن الخطيب البغدادي روَى هذا الأثر بمعناه دُون لفظه من طريق آخر غير طريق الدينوري، في كتابه «**شرف أصحاب الحديث**» (ص٤٨) بسنده إلى أبي عمران الصوفي، قال: رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث، وقد خرَجوا من عند محدِّث والمحابر بأيديهم، فقال أحمد: **إن لم يكونوا هؤلاء الناس، فلا أدري من الناس.**

وأخرجه ابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**» (ص٢٤٨) من طريق الخطيب البغدادي.

وعلَّقه ابن أبي يعلى في «**طبقات الحنابلة**» (٢/ ٥٧٨) عن أبي عمران الصوفي.

التنبيه الثالث: أن ابن المبرد روَى هذا الأثر هنا من طريق القطيعي، وقد علمتَ من التنبيه الأول أن كل من وقفنا عليه ممَّن روَى هذا الأثر بهذا اللفظ إنما يرويه من طريق الدينوري،

أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن حَجَر، أخبرنا أبو المَعالي الأزهري، أخبرتنا عائشة بنت علي، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا أبو القاسم البُوصِيري وأبو عبد الله الأَرْتاحِي، قالَا: أخبرنا أبو الحسن بن الفَرَّاء، أخبرنا أبو القاسم الضَّرَّاب، أخبرنا أَبِي، أخبرنا أبو بكر الدِّينَوَرِي، حدَّثنا أحمد بن محمد النيسابوري، حدَّثنا الحسن بن عيسى، عن ابن المبارك، عن داود، عن الشعبي، قال:

ركِبَ زيدُ بن ثابت فأخَذ ابنُ عباس بِركابه، فقال: لا تَفعَل يا ابنَ عَمِّ رسول الله. فقال: هكذا أُمِرنا أن نَفعَل بعُلمائنا. فقال له زيدٌ: أَرِني يَدَيك. فأَخرَج يَدَيه؛ فقَبَّلَهُما زيدٌ، وقال: هكذا أُمِرنا أن نَفعَل بأهل بيت نبيِّنا ﷺ(١).

فهل رُوِي هذا الأثر من طريق القطيعي وحفِظه لنا ابنُ المبرد؟! لا سيما أن ابن المبرد ممَّن روَوا كتاب «المجالسة» وله به سماع، وقد كتَب هذا السماع بخطه على نسخة الظاهرية كما هو موضَّح في مقدمة المحقق لكتاب «المجالسة» في أثناء وصفه للنسخة ووضعه صورة من هذا السماع. هذا بالإضافة إلى أن ابن المبرد ينقُل بعض الأحاديث والآثار من طريق الدينوري من كتابه «المجالسة» في كتابنا هذا، فلابن المبرد بكتاب «المجالسة» مزيد اعتناء! أم أن ابن المبرد قد وهِم وسلَك طريق الجادة في الرواية عن الإمام أحمد، لكثرة ما يرويه عنه من «المسند» في كُتبه عامَّة وكتابنا هذا خاصَّة، كما سبَق بيانه في مقدمة التحقيق؟! بالإضافة إلى أن ما ينقُله من الأحاديث والآثار إنما ينقُله من حفظه، ولهذا تجده يتصرَّف في بعض ألفاظ ما ينقُله منها، فلعله لهذا قد سبَق إلى ذهنه إسناده إلى المسند؛ فذكَره بدلًا من إسناده إلى كتاب «المجالسة» للدينوري؛ فذكَر القطيعي بدلًا من الدينوري. فالله أعلم.

(١) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة» (٤/ ١٤٦) (١٣١٤)، ومن طريقه رواه ابن المبرد هنا. وأخرجه من طريق الشعبي أيضًا يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨٤)، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٧٥).

ولْيَكُن من النِّيَّةِ الحَسنة في هذا الزَّمان تحصيلُ العِلم ونشرُه قَبْل ذَهابه؛ فإنَّه زمان ذَهاب العِلم؛

[٣/ و] [٤/ و] **أخبرنا** جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا/ [١] الفَخْر بن البخاري، أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله، حدَّثني أَبِي، حدَّثنا وَكِيع، أخبرنا هشام، عن أبيه،

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ[٢] مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[٣].

قُلتُ: وهُو -واللهِ- زمانُنا هذا، ومَن عاشَ حتَّى تَذهَب هذه الشِّرْذِمَة القليلة صارَ النَّاس إلى ذلك؛

أخبرنا الجماعة، أخبرنا ابن الزَّعْبُوب، أخبرنا الحَجَّار، أخبرنا ابن الزَّبِيدِي، أخبرنا السِّجْزِي، أخبرنا الداوُدِي، أخبرنا السَّرَخَسِي، أخبرنا الفَرَبْرِي، أخبرنا البخاري، حدَّثنا العلاء بن عبد الجبار، حدَّثنا عبد العزيز بن مُسْلِم، عن عبد الله ابن دِينار، قال:

كتَب عُمَر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حَزْم: انظُر ما كان عِندك من

(١) الوجه [٣/ و] من المخطوط كُلُّه بياض؛ لأنه ظَهْرُ طَيَّارَة.

(٢) في المسند: ينزعه. وعلّق محققو المسند (١١/ ٣٩٥) هامش رقم (٣) عليها بقولهم: في (ظ) وهامش (س): ينتزعه.

(٣) مسند أحمد (٦٧٨٧)، وله عنده رواية أخرى (٦٥١١)، لكن فيها: إذا لم يَترك عالمًا. بدلًا من: إذا لم يُبق عالمًا. والحديث أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

حديث رسول الله ﷺ فاكتُبه؛ فإنِّي خِفتُ دُرُوسَ[(١)] العِلم وذَهاب العلماء، ولا تَقبَل إلَّا حديث النَّبيِّ ﷺ، ولْتُفْشُوا[(٢)] العِلم ولْتَجْلِسُوا حتَّى يُعَلَّم مَن لا يَعلَم؛ فإنَّ العِلم لا يَهْلِك حتَّى يَكُون سِرًّا[(٣)].

/ [(٤)] أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن المُحِب، أخبرنا القاضي سليمان، [٣/ ظ] أخبرنا الحافظ ضياء الدين، أخبرنا أبو المُظَفَّر السَّمْعاني، أخبرنا أبو القاسم الإدريسي، أخبرنا أبو العلاء صاعد، أخبرنا أبو نصر محمد بن أبي الحسن، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم -فيما أجاز لي-، سمِعتُ الخليل بن أحمد[(٥)] -إملاءً من حفظه-، قال: سمِعتُ أبا محمد أحمد بن محمد بن الليث يقول:

جاء سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرِي إلى أبي داود السِّجِسْتانِي، فقِيل: يا أبا داود، هذا سَهْل بن عبد الله جاءك زائرًا. قال: فرحَّب به وأَجلَسه. فقال له سَهْل: يا أبا داود، لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتَّى تَقُول: قد قَضَيتُها مع الإمكان.

---

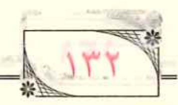
(١) دروس العلم، أي: مَحْوُه وذَهابه. راجع: «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٥١) (د ر س).

(٢) في الأصل: وليفشوا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه موصولًا إلى قوله: وذهاب العلماء. والباقي، قيل: إنه مُعلَّق، وقيل: إنه من كلام البخاري نفسه، وليس من كلام عُمر. والثاني هو الأظهر. راجع: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٩٥)، و«تغليق التعليق» له (٢/ ٨٨).

(٤) هذا الظهر من هذه اللوحة (من قوله: «أخبرنا جماعة من شيوخنا» إلى قوله: «رحمة الله عليهما») طيارة وضَعها المصنِّف واستدركها على كلامه، وكتَب بعدها: صح. ولم ترد هذه الطيارة في المطبوع كما تقدمت الإشارة إليه في مقدمة التحقيق.

(٥) هو الخليل بن أحمد السجزي القاضي الواعظ الحنفي، توفي سنة ٣٧٨هـ. راجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ٤٣٧).



قال: نَعَم. قال: أَخرِج لِسانَك الذي حدَّثتَ به أحاديث رسول الله ﷺ حتَّى أُقَبِّله. قال: فأَخرَج إليه لِسانَه؛ فقبَّله[١]. رحمة الله عليهما[٢].

[التواضُع في طلب العلم]

وقد سُئل الإمام أحمد عن تصحيح النِّيَّة في العِلم؛ ما هو؟ قال: يَنوِي يَتواضَع، ويَنفِي عنه الجَهْل[٣]. **فإنَّ هذه ثَمَرة العِلم.**

---

(١) أخرج هذا الأثر الحافظ السِّلَفي في مقدمته على «**معالم السنن**» (٤/ ٣٧٠)، وابن نقطة في «**التقييد**» (ص٢٨٢)، والمزي في «**تهذيب الكمال**» (١١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) قوله: «رحمة الله عليهما». من كلام المصنِّف. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه طلبة العلم وأهله؛ من تبجيل العلماء السابقين لهم، والترحُّم عليهم، والدعاء لهم، لِمَا سهَّلوا لنا من العلم، وقد تحمَّلوا في سبيل هذا الكثير من المشقة، فمن الجحود أن يُقابَل جهد هؤلاء العلماء الذين انتفع الناس بعِلمهم في الجملة، وصارت مؤلَّفاتهم في فنِّها للمتعلِّمين إمامًا؛ يَرجِع الناس إليها، ويأتمُّون بها -وإن اختلف **مَن رسخ في العلم** معهم في أشياء-، بالتنقص منهم والازدراء بهم، بل قد يَصِل الأمر إلى تبديعهم وتفسيقهم، ويكون هذا غالبًا من الشُّداة غير الراسخين، وهذا والله من علامة الخذلان وعدم التوفيق. والله أعلم.

ولهذا علَّق الحافظ أبو طاهر السِّلَفي في مقدمته على «**المعالم**» للخطابي(٤/ ٣٧٠، ٣٧١) على فِعل سهل بقوله: لم يَسهُل على سَهْل هذا الفِعل مع انقباضه عن الناس وانزوائه عنهم ميلًا منه إلى اليأس، وإيثاره الخمول، وتركه الفضول؛ إلَّا لإحياء أبي داود الحديثَ والشرعَ الشريف بالبصرة عقيب ما جرَى عليها من الزنوج القائمين مع القرمطي وخرَابها وقتل علمائها وأعيانها...، وقليلٌ ما فعَله سَهْل في حقِّه حين رأى الحقَّ المستحَق، **والله تعالى يُثِيب الجميع بنيَّاتهم الجميلة وما قد حازُوه من الفضيلة، ويَنفَعنا باتِّباعهم ومحبَّتهم، ويَحشُرنا بمنِّه وكرمه في زُمرتهم**. انتهى تعليقُه رضي الله عنه.

(٣) إلى هنا ينتهي كلام الإمام، وقد أخرجه عن مهنًّا عن الإمام أحمد الحافظُ أبو طاهر السِّلفِي ☜

/ أخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، [٤/ ظ] أخبرنا أبو المنصور ظافِر بن طاهر، أخبرنا السِّلَفِي، أخبرنا أبو الحسن السَّرْوِي، أخبرنا القاضي أبو محمد السفني، سمِعتُ أَبِي يقول: سمعتُ أبا بكر بن عَلْكُويَه يقول: سمِعتُ أحمد بن شاكر يقول:

سمِعتُ أبا زُرْعَة يقول: إذا رأيتَ الإنسان يَركَب الدَّابَّة يَطلُب الحديثَ؛ فاعلَمْ أنَّه لا يُفلِح[١].

في «**المشيخة البغدادية**» (ق١٨٨/ ظ)، ومن طريقه المصنِّف هنا، وذكَره عن مهنا عن الإمام ابنُ مفلح في «**الفروع**» (٢/ ٣٣٩)، والمرداوي في «**الإنصاف**» (٤/ ١٠١).

(١) لم أجده بلفظه ولا معناه عن أبي زرعة كما رواه المصنِّف هنا، وذكَره المصنِّفُ نفسه في رسالته «**بدء العلقة بلُبس الخِرقة**» (ص١٣٨)، ولكن وجدتُه بمعناه عن شُعْبَة بلفظ: **ما فَقِهَ رَجلٌ طلَب الحديث على دابَّة**. أخرجه الخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**» (١/ ١٥٢)، وابن السمعاني في «**أدب الإملاء والاستملاء**» (ص١١٥). وعن ابن أبي عاصم النَّبِيل بلفظ: **مَن طلَب الحديث على الدَّابَّة لم يُفلِح**. أخرجه ابن السَّمعاني أيضًا في «**أدب الإملاء والاستملاء**» (ص١١٦).

وهذا الأثر إنما يَذكُره المتكلِّمون في آداب طالب العلم؛ لبيان **أمرين**:

الأول: أن مشي طالب العلم إلى أماكن طلبه إنما يكون بتؤدة من غير عجلة، وهذا هو الأليق بالسعي إلى أماكن العلم والعبادة، كما جاء في الحديث: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ**» أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢). وراجع في هذا المعنى: «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**» (١/ ١٥١).

الثاني: أن المشي دُون الركوب أدعَى للتواضع، وهو ما يَدُل عليه السياق الذي أورد فيه المصنِّف هذا الأثر.

وهذا منوط بالقدرة والاستطاعة -لا سيما أنَّ هذه الأمور كانت عند السَّلَف معتادة، وتُناسِب واقعهم ونمط حياتهم-، أما إذا صعُب هذا في بعض الأزمان وبعض الأماكن لتغيُّر الواقع ☜

وأخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن ناصِر الدِّين، أخبرنا ابن المُحِب.

ح[١] **وأخبرنا** جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن المُحِب، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد الهادي، أخبرنا الفَخْر بن البخاري.

ح وأخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، أخبرنا عبد القادر بن عبد الله، أخبرنا أبو طاهر الأصبهاني، سمِعتُ أبا الفضل المؤدِّب يقول: سمِعتُ أبا علي المَرْزُباني يقول: سمِعتُ أبا سعد الصُّوفي يقول: سمِعتُ أبا الطَّيِّب الهاشِمي يقول:

سَمِعتُ أبا بكر الزفاق[٢] يقول: عُلُومنا هذه لا تَصلُح إلَّا لأقوام قد كَنَس اللهُ بأرواحهم المَزابِل[٣].

ونمط الحياة، كما في زماننا هذا، أو شَقَّ على بعض الأشخاص، فلا يَلزَمه فِعل هذا، وهو ما يَدُل عليه قولُ ابن جماعة في كتابه «**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**» (ص١٠٥): ومع ذلك فلا يُحمِّل نفسه من ذلك فوق طاقتها، كيلا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرةً لا يُمكِنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصدًا، وكلُّ إنسان أَبصَرُ بنفسه.

(١) (ح) رمز يُذكَر للدلالة على التحويل والانتقال من سند إلى آخر. راجع: «**معرفة أنواع علوم الحديث**» لابن الصلاح (ص٢٠٣)، و«**التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**» للحافظ العراقي (ص٢١٨).

(٢) قوله: «أبو بكر الزفاق». كذا بالأصل. والصواب: «أبو علي الدَّقَّاق». كما سيأتي في مصدر تخريج هذا القول. وهو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد، أبو علي الدقاق، روى الحديث وتفقه على القفال وغيره، ثم سلك طريق التصوف. تُوفِّي سنة ٤٠٥هـ. راجع ترجمته في: «**طبقات الشافعية الكبرى**» لابن السبكي (٤/ ٣٣٠).

(٣) روَى عنه هذا القول تلميذُه أبو القاسم القشيري عن أحد العارفين كما في «**الرسالة القشيرية**»

قال ابن ناصِر الدِّين[(١)]: وما قالَه هو المُشاهَد المَعرُوف بالذَّوَاق[(٢)]، فقَلَّ أن تَرَى مُتكَبِّرًا نالَ عِلمًا نفعه، أو رَوَى شيئًا سمِعه فرَفَعه[(٣)].

[العلم لا يُعطِيك بعضَه حتى تُعطِيه كُلَّك]

فعَلَى طالبِ العِلم أن يَتواضَع في الطَّلَب جَهْدَه، وأن يَكُون على طريقة التَّواضُع في طَلَبه؛ في مَشيِه في الطَّلَب دُون رُكُوبه، وتَرْك جميع الأمور

(ص٥٨٥)، إذ قال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: أحسن ما قِيل في هذا الباب قول من قال: هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل. انتهى. وبذلك يكون في كلام المصنِّف نظر من وجهَين: **الأول**: اسم أبي علي الدقاق. **الثاني**: نسبة هذا القول إليه.

(١) محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد، القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين، الحافظ والمؤرخ الشهير، مكثِر من التصنيف، له كتاب «**الرد الوافر على من زعم أن من سمَّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**»، و«**إطفاء حرقة الحوبة بإلباس خرقة التوبة**» وغير ذلك. توفي سنة ٨٤٢هـ. راجع في ترجمته: «**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**» لابن فهد المكي (ص٢٠٦)، و«**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**» للسخاوي (٨/ ١٠٢).

(٢) الذواق أو الذوق: مصطلح عند أهل التصوُّف، ويُعبِّرون بذلك عمَّا يَجِدُونه من ثمرات خُلُو القلب عن علائق الدنيا وعوائقها من حظوظ النفس وشهواتها العائقة لصاحبها من سَيْر قلبه إلى الله تعالى. راجع: «**الرسالة القشيرية**» (ص٢٥٧)، و«**لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام**» للقاشاني (٢/ ٣٨٦)، و«**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**» لابن القيم (٣/ ٥٨١).

(٣) قول ابن ناصر الدين الظاهر أنه في كتابه «**إطفاء حرقة الحوبة بإلباس خرقة التوبة**» -لم أقف عليه في حدود اطلاعي مطبوعًا ولا مخطوطًا-، كما يَدُل عليه إيراد المصنِّف له في «**بدء العلقة بلُبس الخِرقة**» (ص١٣٩، ١٣٦).

[٥/ و] الدُّنيويَّة، حتَّى يَنال العِلم؛ فإنَّ طَلَب العِلم وطَلَب / الدُّنيا لا يَجتمِعان، ولا يَنال العِلمَ مَن كان جُلُّ قَصدِه الدُّنيا؛

أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن المُحِب، أخبرتنا أَمَةُ الرَّحمن ابنة الواسِطِي، أخبرنا جعفر الهَمْدانِي.

ح وأخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن البالِسِي وغيرُه، أخبرنا المِزِّي، أخبرنا أبو محمد بن عساكر، أخبرنا الهَمْدانِي، أخبرنا السِّلَفِي، أخبرنا أبو القاسم نَصْر، قال: سمِعتُ والدِي [١] أبا بكر المُقْرِئ يقول: سمِعتُ أبا علي النَّيسابُوري يقول: سمِعتُ عز [٢] بن ناصح يقول:

سمِعتُ أبا أحمد نَصْر بن أحمد [٣] يقول: لا يَنال هذا العِلمَ إلَّا مَن عطَّل

(١) وضَع ابن طولون حاشية على هذا الموضع، وعلَّق أمامها في هامش المخطوط بقوله: (لعله: «قال: سمعتُ...»). ويَعنِي ابن طولون أن ثمة سقطًا بعد كلمة «والدي»، فيكون السياق كما يَرَى ابن طولون: «سمعت والدي قال: سمعت أبا بكر».

والظاهر أن ما ذكَره المصنِّف هو الصواب لا ما ظنَّه تلميذُه ابن طولون؛ لأن أبا القاسم نصر هذا هو بالفعل ابن أبي بكر المقرئ وتلميذُه، وأبو القاسم هو الراوي عن أبيه أبي بكر «**فوائد أبي علي بن فضالة**» -التي فيها هذا الأثر-، كما يُبيِّنه سَند نسخة «**الفوائد**» الخطية على صفحة العنوان (ق٦٦/ و)، وعلى النسخة سماعات من كبار الحُفاظ؛ منهم الحافظ المزي وغيره (ق٧٤/ ظ)-، بالإضافة إلى أن أبا القاسم نصر هو من شيوخ شيوخ السمعاني، وقد أثبت السمعاني نسب أبي القاسم -كما ذكَره ابن المبرد- في عِدة مواضع من كتابه «**المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**» (ص٣٥٦، ٧٤١، ٨٦٢، ١٨٣٥)، وكذا ذكَره ابن حجر في «**لسان الميزان**» (٥/ ١٠٢).

(٢) كذا بالأصل. وفي مصدرَي التخريج: عزيز.

(٣) هو نصر بن أحمد بن العباس بن جبلة بن غالب العياضي، أبو أحمد بن أبي نصر، أخذ الفقه على المذهب الحنفي على أبيه، حتى برَع فيه. فكان من أعلم وأفقه الناس في وقته، وأكثرهم

دُكَّانه، وخرَّب بُستانه، وهجَر إخوانه، ومات أقربُ أهله إليه، فلم يَشهَد جِنازَته[(١)].

[الحذر من طلب العلم لغير الله]

والحَذَرَ كُلَّ الحَذَر مِن طلبِ العِلم لغير الله؛ إمَّا لِرياء، أو طَلَبِ دُنيا يَنالُها به؛

أخبرنا ابن الشَّرِيفة[(٢)]، أخبرنا المشايخ الثلاثة[(٣)]، أخبرنا المِزِّي.

ح وأخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن المُحِب، أخبرنا المِزِّي، أخبرنا شيخ الإسلام ابن أبي عمر وغيرُه، أخبرنا شيخ الإسلام مُوَفَّق الدِّين، أخبرنا أبو زُرْعَة المَقْدِسِي، أخبرنا أبو منصور المُقَوِّمِي، أخبرنا أبو طلحة القَطَّان، أخبرنا ابن ماجَه، حدَّثنا يَزِيد[(٤)] بن أَخْزَم، وأبو بَدْر، قالا: حدَّثنا محمَّد بن

تديُّنًا، وهو من علماء القرن الثالث الهجري. راجع: «**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**» للقرشي (٢/ ١٩٢)، و«**الطبقات السنية في تراجم الحنفية**» لتقي الدين الغزي (١/ ٣٦٢)، و«**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**» لمحمد عبد الحي اللكنوي (ص٢٢٠).

(١) أخرجه أبو علي بن فضالة النيسابوري في «**فوائده**» (ق٦٩/ و)، وعنه الخطيب البغدادي في «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**» (٢/ ١٧٤).

والظاهر أن هذا الأثر قد خرَج مخرج المبالغة؛ للحث على الاجتهاد في تحصيل العلم وبذل غاية الجهد في طلبه، فإن العلم لا يُعطيك بعضه حتى تُعطيه كُلَّك، ولهذا علَّق عليه بدر الدين ابن جماعة في «**تذكرة السامع والمتكلم**» (ص١٧١) بقوله: وهذا كلُّه وإن كانت فيه مبالغة، فالمقصود به أنه لا بُدَّ من جمع القلب واجتماع الفكر.

(٢) تقدَّمت ترجمته ضمن شيوخ المصنِّف في مقدمة التحقيق.

(٣) المشايخ الثلاثة هم: ابن الحرستاني، وابن البالِسِي، وعلي بن أحمد المرداوي. كما صرَّح بهم المصنِّفُ نفسُه في كتابه «**النهاية في اتصال الرواية**» (ص٤٤، ١٠٧، ٢٦٥).

(٤) كذا بالأصل، والصواب: زيد بن أخزم.

عَبَّاد، حدَّثنا علي بن المُبارَك، عن أَيُّوب السَّخْتِيانِي، عن خالِد بن دُرَيْك،

عن ابن عمر، عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

وبه إلى ابن ماجَه: حدَّثنا علي بن محمَّد، والحسينُ بن عبد الرحمن، قالَا: حدَّثنا عبد الله بن نُمَيْر، عن مُعاوية البَصْرِي[٢]، / عن نَهْشَل، عن الضَّحَّاك، عن الأَسود بن يَزِيد، [٥/ ظ]

عن عبد الله بن مسعود، قال: لو أنَّ أَهْل العِلم صَانُوا العِلم، ووضَعُوه عند أَهْلِه، لسَادُوا به أَهْل زَمَانِهم، ولكِنَّهم بذَلُوه لأَهل الدُّنيا لِينالُوا به من دُنياهُم، فهَانُوا عليهم، سمِعتُ نَبِيَّكُم ﷺ يقول: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ [فِي][٣] أَحْوَالِ الدُّنيا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ ﷻ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»[٤].

---

(١) ابن ماجه (٢٥٨)، وابن دُريك لم يُدركِ ابنَ عمر كما قال المزي في «**تهذيب الكمال**» (٨/ ٥٤)، وأخرجه الترمذي (٢٦٥٥) أيضًا من طريق ابن دريك عن ابن عمر بلفظ: «من تعلَّم علمًا لغير الله...»، وحكم بصحته ابن القطان في «**بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**» (٤/ ٤٠)، (٥/ ٢١٧)، وأخرجه بمعناه أبو داود (٣٦٦٤) من حديث أبي هريرة، وقد حكَم محققا «**سنن أبي داود**» (٥/ ٥٠٥) هامش رقم ١ على حديث أبي داود بالصحة لغيره؛ لشهادة حديث ابن ماجه والترمذي له.

(٢) كذا بالأصل. والصواب: النصري.

(٣) ليست في الأصل. والمثبت من «**سنن ابن ماجه**».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧)، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، و(٤١٠٦) باب الهم بالدنيا. قال البوصيري في «**مصباح الزجاجة**» (١/ ٣٨): هذا إسناد ضعيف فيه نهشل بن سعيد، ☜

وبه إلى ابن ماجه: حدَّثنا علي بن محمَّد: حدَّثنا إسحاق بن منصور، عن عَمَّار بن سيف، عن أبي مُعاذ البصري، عن ابن سيرين،

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ**» قالوا: يا رسول اللَّه، وما جُبُّ الحَزَن؟ قال: «**وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، تتعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مئَةِ مَرَّةٍ**»، قيل: يا رسولَ اللَّه مَن يَدخُلُها؟ قال «**أُعِدَّ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ**[1] **الْأُمَرَاءَ**»[2].

أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن حَجَر، أخبرنا الأزهري، أخبرتنا عائشة بنت علي، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا البُوصِيري والأَرْتاحِي، قالَا: أخبرنا ابن الفَرَّاء، أخبرنا أبو القاسم الضَّرَّاب، أخبرنا أَبِي، أخبرنا أبو بكر الدِّينَوَرِي، حدَّثنا عُمَيْر بن مِرْداس، عن الوليد بن صالح، حدَّثنا عثمان بن مِقْسَم، عن المَقْبُرِي،

قال البخاري: روى عن معاوية النصري أحاديث مناكير. وقال الحاكم: روى عن الضحاك المعضلات. وقال أبو سعيد النقاش: روى عنه الضحاك الموضوعات. وراجع: «**تهذيب الكمال**» (٣٠/ ٣٢، ٣٣).

وقد ورَد حديث آخَر يؤدي المعنى نفسه بإسنادٍ صحيح عند ابن ماجه (٤١٠٥)، وهو: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**». وللحديث شواهد، راجع: «**مصباح الزجاجة**» (٤/ ٢١٢).

(١) في الأصل: يراؤون. والمثبت هو الموافق لِمَا في مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦)، والترمذي (٢٣٨٣)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٣٠٩٠). وضعَّفه ابن عدي في «**الكامل**» (٦/ ٣٩٢)، وابن رجب في «**التخويف من النار**» (ص١١٩). وأخرجه البيهقي عن علي رضي الله عنه في «**البعث والنشور**» (٤٨١)، قال الحافظ المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٤/ ٢٥٣): رواه البيهقي بإسناد حسن.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ**»(١).

[٦/و] / **أخبرنا** جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله، حدَّثني أَبِي، حدَّثنا يونس بن(٢) سُرَيْج، حدَّثنا فُلَيْح، عن عبد الله بن عبد الرحمن أَبِي طُوَالَة، عن سعيد بن يَسَار،

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

أخبرنا ابن الشَّرِيفة، أخبرنا المشايخ الثلاثة، أخبرنا المِزِّي، أخبرنا ابن البخاري.

---

(١) أخرجه الدينوري في «**المجالسة وجواهر العلم**» (١/ ٣٩٢) (٩٠)، ومن طريقه القضاعي في «**مسند الشهاب**» (١١٢٢)، وأخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١٦٤٢)، كلهم من طريق عثمان بن مقسم عن المقبري، عن أبي هريرة.
ضعَّف إسناده العراقي في «**تخريج أحاديث الإحياء**» (ص٨)، وقال ابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (١/ ٦٢٨): هو حديث انفرد به عثمان البُرِّي، لم يرفعه غيره، وهو ضعيف الحديث معتزلي المذهب فيما ذكروا، ليس حديثه بشيء. وراجع: «**مجمع الزوائد**» (١/ ١٨٥) (٨٧٢).

(٢) كذا في الأصل. والصواب: يونس وسريج. كما في مصادر التخريج.

(٣) أخرجه أحمد (٨٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٢). قال الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ١٦٠) (٢٨٨): هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ح وأخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا ابن البخاري، أخبرنا ابن طَبَرْزَد، أخبرنا أبو الحسن ابن البَنَّاء، أخبرنا أبو الفتح الكَرُوخِي، أخبرنا أبو عامر الأَزْدِي، وأبو نصر التِّرْيَاقِي، وأبو بكر الغُوْرَجِي، أخبرنا أبو محمد الجَرَّاحِي، أخبرنا أبو العباس المَحْبُوبِي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، حدَّثنا أبو الأشعث العِجْلِي، حدَّثنا أُمَيَّة بن خالد، حدَّثنا إسحاق بن يحيى،

حدَّثني ابن كَعْب بن مالك، عن أبيه، سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَ**[1] **يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ**»[2].

وبه إلى الترمذي: حدَّثنا علي بن نصر، حدَّثنا محمد بن عَبَّاد، حدَّثنا علي ابن المُبَارَك، عن أيوب السَّخْتِيَانِي، عن خالد بن دُرَيْك،

عن ابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ تَعَلَّمَ [عِلْمًا]**[3] **لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[4].

أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن البالِسِي، أخبرنا المِزِّي، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا شيخ الإسلام مُوَفَّق الدِّين، أخبرنا أبو زُرْعَة المَقْدِسِي، أخبرنا

---

(١) كذا في الأصل وسنن ابن ماجه (٢٦٠). وفي «**سنن الترمذي**» و«**مشيخة ابن البخاري**»: أو.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلم فيه من قِبل حفظه. انتهى. وقد رواه المصنِّف هنا عن الترمذي من طريق ابن البخاري، والحديث في «**مشيخة ابن البخاري**» (٢/ ١٤٨٧).

(٣) ليست في الأصل. وأثبتناها من «**سنن الترمذي**».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥)، وقد تقدم الكلام عليه، راجع (ص١٣٨)، حاشية رقم (١).

المُقَوِّمِي، أخبرنا أبو طلحة القَطَّان، أخبرنا ابن ماجَه، حدَّثنا محمد بن يحيى، أخبرنا ابن أَبِي مريم، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ابن جُرَيْج، عن أبي الزُّبَيْر،

عن جابر بن عبد الله، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لتَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ[١] النَّارُ**»[٢].

[التماس العلم إنما يكون من أهل الصلاح من العلماء]

[٦/ظ] / وعلى كُلِّ مَن طلَب العِلم أن يَلتمِس أهلَ الخير والصَّلاح من المشايخ؛ يَطلُب منهم العِلم، فإنَّهم الذين يَحصُل النَّفعُ في العِلم بهم وبدعائهم[٣].

ووقوعُ النَّظَرِ منهم عليه يَكفِي، وإن حَصَلَ[٤] منهم أَثَرٌ من آثارهم يَكُون

---

(١) قوله: فالنار. فيه الرَّفع والنَّصب، والثانية توكيد. راجع: «**حاشية السندي على سنن ابن ماجه**» (١/ ١١١)، و«**إنجاح الحاج**» للمجددي الحنفي (ص٢٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤). قال العراقي في «**تخريج أحاديث الكشاف**» (١/ ١٧٠): إسناده على شرط مسلم. وقال البوصيري في «**مصباح الزجاجة**» (١/ ٣٧): إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم.

(٣) وممَّا يُستدَل به على ذلك قولُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**». أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

قال النووي في «**شرح صحيح مسلم**» (١٦/ ٩٥): وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالِب أفضلَ منهم.

(٤) حصل الشيء: بَقِيَ. والحاصل من كل شيء: ما بَقِي وثبَت وذهَب ما سِواه. راجع: «**تهذيب اللغة**» (٤/ ١٤١) (ح ص ل).

عنده؛ يَتبرَّك به منهم[١].

وإن أَلبَسُوه خِرْقَةً تكُون عليه، فذلك ما يُرجَى به الخيرُ، وقد كان جَمَاعة من السَّلَف يَفعَلون ذلك، ويَطلُبون لُبْس الخِرَق من أيدي الصَّالحِين والتَّأَدُّبَ بأحوالهم وأفعالهم، وقد اعتنَى أهل التَّصوُّف بلُبس الخِرْقَة المبارَكة[٢].

وقد أَلبَسَنِي إيَّاها شيخُنا شهاب الدِّين بن زَيْد[٣] قال: أَلبَسَنِي إيَّاها جمال الدِّين بن الشَّرائحِي، قال: أَلبَسَنِي إيَّاها أبو عبد الله الأنصاري، قال: أَلبَسَنِي إيَّاها الشيخ قطب الدين اليُونِينِي، وهو لبِسها من يَدِ والِده أبي عبد الله اليُونِينِي، وهو لبِسها من يَدِ عبد الله البطائحي، وهو لبِسها من يَدِ الشيخ عبد القادر الجِيلِي[٤]، وهو لبِسها من يَدِ أبي سعيد[٥] المُخَرِّمِي، وهو لبِسها من يَدِ أبي الحسن الهَكَّارِي، وهو لبِسها من يَدِ أبي الفَرَج الطَّرَسُوسِي، وهو لبِسها من يَدِ أبي الفضل التَّمِيمِي، وهو لبِسها من يَدِ عبد العزيز التَّمِيمِي، وهو لبِسها

---

(١) تقدَّم كلامنا عن حُكم التبرُّك بآثار الصالحين في مقدمة التحقيق.

(٢) من قوله: «يفعلون» إلى قوله: «المباركة» مكتوب على هامش الأصل بخط المصنِّف، وآخِره: صح صح.

(٣) تقدَّمت ترجمته ضمن شيوخ المصنِّف في مقدمة التحقيق.

(٤) ذكَر سندَ الشيخ عبد القادر بالخرقة -كما ذكَره المصنِّف- تقيُّ الدين الواسطي (ت٧٤٤هـ) في «**ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين**» (ص٥٥)، وراجع: «**الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة**» لعقيلة (ص١٠١).

(٥) كذا في الأصل. وفي مصادر ترجمته و«**بدء العُلقة بلُبس الخرقة**» للمصنِّف (ص١٥٣): **سعد**. وقد أشار محققا «**بدء العُلقة**» إلى أنها في الأصل الخَطِّي: سعيد. وسيأتي بُعَيد هذا الموضع ذِكر المصنِّف له على الصواب عند ذِكر سنده بالخرقة عن شيخه شهاب الدين العيثاوي، فلعلَّ ما وقَع له هنا سبقُ قَلَم.

من يَدِ أبي بكر الشِّبْلِي، وهو لبِسها من يَدِ أبي القاسم الجُنَيْد، وهو لبِسها من يَدِ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ، وهو لبِسها من يَدِ مَعْرُوف الكَرْخِي، وهو تأدَّب[١] بعلي بن موسى الرِّضا، وهو تأدَّب بالكاظِم، والكاظِمُ تأدَّب بجعفر الصَّادِق، والصَّادِقُ تأدَّب بالبَاقِر، والبَاقِرُ تأدَّب بزين / العابدِين، وزَينُ العابدِين تأدَّب بوالده [٧/و]
الحسين، والحسينُ تأدَّب بوالده علي بن أبي طالب، وعليٌّ صحِب النَّبِيَّ ﷺ.

وقال مَعْرُوف الكَرْخِي أيضًا: تأدَّبتُ بداوُد الطَّائي، وداودُ تأدَّب بحَبِيب العَجَمِي، وحَبِيبٌ تأدَّب بأبي سعيد الحسن البصري، وهو أخَذ العِلم عن جماعة من الصحابة؛ منهم عليٌّ وحُذَيْفَة بن اليَمَان.

وقد حضَرتُ[٢] إلى حضرة سَيِّدي شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن علي ابن العَيْثَاوِي البَعْلِي الحنبلي[٣]، والتَمستُ منه لُبس الخِرْقَة، فألَبسني إيَّاها، وهو لبِسها من الشيخ العلَّامة قاضي القضاة ناصر الدِّين أبي عبد الله محمد ابن محمد بن محمد الحُسَيْنِي، قال: ألَبسني إيَّاها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق، وهو لبِسها من يَدِ والِده تاج الدين عبد الرزاق، وهو لبِسها من يَدِ والِده وشيخِه فخر الدِّين أحمد، وهو لبِسها من يَدِ سَيِّده ووالِده محيي الدِّين محمد، وهو لبِسها من يَدِ سَيِّده وشيخِه ووالِده قاضي القضاة أبي صالح نَصْر، وهو لبِسها من يَدِ سَيِّده ووالِده شيخ الشيوخ تاج الدين أبي بكر عبد الرزاق، وهو لبِسها من يَدِ سَيِّده ووالِده وشيخِه قطب الأولياء محيي الدين أبي محمد

---

(١) تقدَّم في مقدمة التحقيق بيان سبب عدول المصنِّف وغيره عن جملة: وهو لبسها. إلى: وهو تأدب. بعد معروف الكرخي. وراجع: «**سير أعلام النبلاء**» (١٦/ ٢٦٦).

(٢) المتكلِّم ابنُ المبرد.

(٣) تقدَّمت ترجمته ضمن شيوخ المصنِّف في مقدمة التحقيق.

عبد القادر / الكِيلانِي الحنبلي، قال -قدَّس اللهُ رُوحَه[١]-: جاءني أبو سعد[٢] [٧/ ظ] المُبارَك بن علي، وقال: لا بُدَّ أن تَلبَسَ منِّي خِرْقَةً، وأَلبَسَ منك خِرْقَةً؛ تبرُّكًا من كُلِّ واحد منَّا بالآخَر؛ فلِبسَ منِّي خِرْقَةً، ولبِستُ منه خِرْقَةً.

وشيخُهما الذي أَلبَسهما الخِرْقَة شيخُ الإسلام أبو الحسن الهَكَّارِي، ولبِسها الهَكَّارِي من يَدِ أبي الفضائل عبد الواحد التَّمِيمِي، ولبِسها التَّمِيمِي من يَدِ أبي بكر الشِّبْلِي، ولبِسها الشَّبْلِي من يَدِ شيخ الطريقة أبي القاسم الجُنَيْد، ولبِسها الجُنَيْد من يَدِ شيخه وخالِه سَرِيِّ السَّقَطِيِّ، ولبِسها سَرِيٌّ من يَدِ مَعْرُوف الكَرْخِي، وهو أخَذ العِلم والأدبَ من علي بن موسى الرِّضَا، وهو أخَذ العِلم والأدبَ من موسى بن جعفر، وهو أخَذ العِلم والأدبَ من جعفر بن محمد، وهو أخَذ العِلم والأدبَ من أبيه محمد بن علي، وهو أخَذ العِلم والأدبَ من أبيه علي بن الحسين زين العابدِين، وزينُ العابدِين تأدَّب بأبيه الحسين، والحسينُ تأدَّب بأبيه علي بن أبي طالب، وعليٌّ تأدَّب بسَيِّد المُرسَلِين، والنَّبِيُّ ﷺ قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»[٣].

---

(١) أي: عبد القادر الكيلاني.

(٢) وهو أبو سعد المخرمي التي تقدَّم ذِكرُه، وذكَره المصنِّف هناك بأبي سعيد. وقد نبَّهْنَا على ذلك في هذا المَوضِع، لكنَّه ذكَره هنا على الصواب بأبي سعد.

(٣) أخرجه ابن السمعاني في «**أدب الإملاء والاستملاء**» (ص١)، وقال المصنِّف في كتابه «**التخريج الصغير والتحبير الكبير**» (٣/ ٢٨): حديث: «**أَدَّبني رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبي**» ابن السمعاني في «**أدب الإملاء**»، وابن الجوزي في «**الأحاديث الواهية**»، وصحَّحه ابن ناصر.
وذكَر الزركشي في «**التذكرة**» (ص١٦٠) أن ابن الجوزي ذكَر هذا الحديث في الأحاديث الواهية في ذيل حديث وفد بني نهد. قلتُ (البشير): لم أجده في «**العلل المتناهية**» لابن الجوزي في طبعتَيه في هذا الموضع الذي ذكَره الزركشي ولا في غيره!

[وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني لطلاب العلم والسائرين إلى الله تعالى]

[٨/ و] وأَوصَانا[1] بما أَوصَاه به شيخُه، / وإنَّ شيخَه أيضًا أَوصَاه بذلك كذلك إلى الشيخ عبد القادر، وهي وصيةُ الشيخ عبد القادر، وهي هذه:

أُوصِيك بتقوى الله في السِّرِّ والعلانية، ولُزُوم ظاهِر الشَّرعِ الشَّرِيف، وحفظِ حُدُوده، وكثرةِ السَّخاء، وبَذْلِ النَّدَى[2]، والصَّفْحِ عن عَثَرات الإخوان.

واعلَم يا وَلَدِي أنَّ الصَّوْلَة[3] على مَن دُونك ضَعْفٌ، وعلى مَن فَوْقك قِحَةٌ[4]، وأنَّ طريقَنا هذه مَبنِيَّة على ثَمانِ خِصال: السَّخاء، والرِّضا، والصَّبْر، والإشارة، والغُرْبَة، ولُبْس الصُّوف، والسِّيَاحَة، والفَقْر.

والحديث في الجملة -عند أكثر أهل الحديث- لم يأت من طريق صحيح، ولا يُعرف له إسناد ثابت، ومع ذلك فمعناه صحيح بلا ريب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «**أحاديث القصاص**» (ص٩٤): المعنى صحيح. لكن لا يُعرَف له إسناد ثابت. انتهى. وقال الزركشي في «**التذكرة**» (ص١٦٠): معناه صحيح...، لكنه لم يأت من طريق يصح. انتهى. وراجع «**المقاصد الحسنة**» للشمس السخاوي (ص٧٣).

(١) يعني: الشهاب العَيثاوي -شيخ المصنِّف- المتقدِّم ذِكره.

(٢) الندى: اسم للجُود الذي يَنال القريبَ والبعيد. والجُود هو كثرة العطاء من غير سؤال، بخلاف السخاء فإنه يكون عن سؤال، ولهذا جاء التفريق بينهما في كلام الجيلاني هنا. راجع: «**الفروق اللغوية**» لأبي هلال العسكري (ص١٧٣، ١٧٤).

(٣) الصاد والواو واللام أصلٌ يدل على قَهْر وعُلُو، فيقال: صال عليه: إذا استطال. راجع: «**معجم مقاييس اللغة**» (٣/ ٣٢٢) (ص و ل).

(٤) في «**فتوح الغيب**» للجيلاني (ص١٠٤): فَخْر. والقحة بكسر القاف: قِلَّة الحياء. راجع: «**المصباح المنير**» للفيومي (٢/ ٦٦٧) (و ق ح).

فالسَّخَاءُ لنبيِّ الله إبراهيم عليه السلام[١]، والرِّضا لنبيِّ الله إسماعيل عليه السلام[٢]، والصَّبْرُ لنبيِّ الله أيوب عليه السلام[٣]، والإشارةُ لنبيِّ الله زكريا عليه السلام[٤]، والغُرْبَةُ[٥]

(١) كما يَدُل عليه قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧]. وقوله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ إِبْرَاهِيمُ**». أخرجه مالك في «**الموطأ**» (٣٤٠٨) وابن أبي الدنيا في «**قرى الضيف**» (٦) كلاهما من قول ابن المسيب موقوفًا عليه، وابن أبي عاصم (١٨) وأبو عروبة (٢٤) والطبراني (١٠)؛ ثلاثتهم في كتاب «**الأوائل**» من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) ويَدُل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

(٣) ويَدُل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤].

(٤) ويَدُل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

وذلك أنه تعالى أمَره بعدم التكلُّم إلا بالرمز، وهو الإشارة المُفهِمة باليد أو الرأس ونحوهما. راجع: «**جامع البيان**» للطبري (٥/ ٣٨٩ وما بعدها)، فكأنه تعالى يقول له: «لتُخلص هذه المدة للذِّكر شكرًا على النعمة». راجع: «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**» للبقاعي (٤/ ٣٧٠).

فكأن الصمت وعدم الكلام مُعِينٌ على الذِّكر، ولهذا كثُرت الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي وردت في حفظ اللسان وفضل الصمت، ولهذا أفردها العلماء بالتصنيف، ومن ذلك كتاب «**الصمت وآداب اللسان**» لابن أبي الدنيا، و«**حُسن السمت في الصمت**» للجلال السيوطي.

ولِمَا للصمت من أثر في صلاح القلب واستقامته، جعلته الصوفية من أصول طريقتهم التي يسيرون بها إلى الله تعالى، كما في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني هنا، وقد ذكَر الجيلاني في كتابه «**الغنية لطالبي طريق الحق** عز وجل» (٢/ ٤٦٩) أن السلوك إلى الله تعالى لا يكون إلا بالمجاهدة، ومن طرق المجاهدة المُعِينة على صلاح قلب السالك: أَلَّا يأكل إلا عند الفاقة، ولا ينام إلا عند الغَلَبة، **ولا يتكلَّم إلا عند الضرورة**.

(٥) لفظة (الغربة) في الأصل غير معجمة العين ولا الراء. وهي كما أثبتناها في «**فتوح الغيب**»

للجيلاني (ص١٠٣)، و«**نزهة المجالس ومنتخب النفائس**» للصفوري (٢/ ٦٤)، وفي «**بدء العلقة بلبس الخرقة**» للمصنِّف (ص١٥٦)، و«**النهاية في اتصال الرواية**» له أيضًا (ص٢٦٨). وفي طبعة أخرى من «**نزهة المجالس ومنتخب النفائس**» (٢/ ٥٦): العُزْبَة. وكذا قرأها محقِّق مطبوعة «**تهذيب النفس**» (ص٩٥).

وهذه القراءة (أي: العزبة) تناسب وصف الله تعالى يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه كان حصورًا كما في قوله: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[آل عمران: ٣٩]، ومعناه على قول جماهير المفسرين أنه لا يأتي النساء. راجع: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» للطبري (٥/ ٣٧٦ وما بعدها)، و «**المحرر الوجيز**» لابن عطية (١/ ٤٣٠).

لكن يُعكِّر على هذا أن العُزْبَة عند القوم أي الصوفية ليست بالطريق المَهْيَع، راجع: «**الغنية لطالبي طريق الحق** عَزَّ وَجَلَّ» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٧٠)، و«**قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٩٨)، و«**إحياء علوم الدين**» لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٠١).

بالإضافة إلى أن تفسير الحصور بأنه الذي لا يأتي النساء ليس هو التفسير الوحيد الوارد، فقد جاء في تفسيرها عن السلف أنه الذي لا يشتهي النساء، أو هو الذي يَمنَع نفسه من شهواتها، وعلى هذا فلا يلزم أنه لم يتزوج، بل قول زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، قد يُفهَم منه وجود نسل وذرية ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ. راجع: «**زاد المسير في علم التفسير**» لابن الجوزي (١/ ٢٨٠)، و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٢/ ٣٩).

وممَّا يؤيِّد هذا أن الغُربة التي هي غربة الحال وغربة الهِمَّة= هي من السُّبُل المعوَّل عليها عندهم في السير إلى الله تعالى، وهي ممدوحة بإطلاق عندهم بخلاف العُزبة، راجع: «**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**» (٣/ ١٨٦ وما بعدها).

وهذه الغربة كانت بالفعل من صفات يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كان لا يأنس بالناس، ولا يُحِب مخالطتهم في معايشهم وَفقًا لِما جاء في سيرته عَلَيْهِ السَّلَامُ. راجع: «**البداية والنهاية**» لابن كثير (٢/ ٤١٠).

وقد كان كلٌّ من الجيلاني الذي جاءت هذه اللفظة في كلامه وابن المبرد المصنِّف= أصحاب

لنبيِّ الله يحيى عليه السلام، ولُبْسُ الصُّوف لنبيِّ الله موسى عليه السلام[1]، والسِّيَاحَةُ

زوجات وعيال، والأخير كان متزوجًا بأكثر من واحدة، بالإضافة إلى امتلاكه عددًا من الإماء.

فكلُّ هذا جعلنا نختار قراءة هذه اللفظة على ما أثبتناه.

(١) أخرج الترمذي (١٧٣٤) من حديث ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «**كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ، وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكُمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ**»، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيْد الأعرج. وحُمَيْد: هو ابن علي الكوفي مُنكَر الحديث.

ولا يَعنِي هذا عدم ثبوت لُبس موسى عليه السلام الصوفَ، فإن عدم ثبوت النصِّ لا يَلزَم منه عدمُ ثبوت الحُكم الذي جاء فيه؛ فقد ثبَت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَكُمْ لَا يَسْتَحُونَ مِنْ أَنْ يَلْبَسُوا الصُّوفَ، وَيَرْكَبُوا الْحُمُرَ، وَيَحْلِبُوا الْغَنَمَ**. أخرجه وكيع في «**الزهد**» (١٢٩)، والطيالسي في «**مسنده**» (٣٢٨)، وأحمد في «**الزهد**» (٣٣٧)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٥٧٤٦). وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي. راجع: «**المستدرك على الصحيحين**» (٤/ ٢٠٨) (٧٣٨٧)، وما زيَّل به محقِّق «**الزهد**» لوكيع على هذا الأثر (١/ ٣٥٤).

وفي رواية «**المستدرك**» و«**شعب الإيمان**»: «**يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَلْبَسُوا الصُّوفَ**».

وقد ثبَت في غير ما حديث أن النبي ﷺ قد لبِس الصوف؛ ومنه حديث البخاري (٥٧٩٩)، ومسلم (٢٧٤)، ووضَع البخاري هذا الحديث تحت قوله: (**بَابُ لُبْسِ جُبَّةِ الصُّوفِ فِي الغَزْوِ**)، وكذا ثبَت لُبس الصوف عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين من باب التواضع والبذاذة في اللباس، ولهذا أورَد المحدِّثون الأحاديث والآثار الواردة في لُبس الصوف تحت أبواب التواضع في اللباس، مثل (**باب التواضع ولُبس الصوف**) كما عند الإمام وكيع ابن الجراح في «**الزهد**» (١/ ٣٥٠)، و(**باب التواضع**) عند هَنَّاد في «**الزهد**» (٢/ ٤١٠)، كما وضَعها البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٨/ ٢٣٠) تحت (**فصل فيمَن اختار التواضع في اللباس**). وراجع ما ذكَره ابن عبد البر في «**الاستذكار**» (٨/ ٣٢٣ وما بعدها) في هذا عن السلف من الصحابة والتابعين، ولهذا قال اليوسي في «**القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**» (ص١٩٨) عن الصوفية: سُموا به إمَّا نسبة إلى الصوف، وهو زيُّهم غالبًا، آثروه تواضعًا وتقللًا من الدنيا، واتباعًا للسلف، أو إلى... انتهى. ☜

لنبيِّ الله عيسى عليه السلام(١)، والفَقْرُ لسَيِّدِنا محمد صلى الله عليه وسلم(٢).

ومع ثبوت هذا واستحبابه في الجملة، إلا أنه يَجِب التنبيه على أن لُبس الصوف كغيره من أنواع اللباس لا بُدَّ فيه من مراعاة الأحكام الفقهية المتعلِّقة باللباس عامَّة كما قرَّرها الفقهاء في كتبهم، ولهذا كما سيأتي بُعيد هذا الموضع من كلام المصنِّف أن على طالب العلم ألَّا يَلبَس الغالي من الثياب من أجل أنه أحرى الناس بالتواضع، وذكَر أنه يُستحَب أن يكون من الصوف؛ لأنه أدون أنواع اللباس، ثم وضَع القيد الذي قلناه، وهو أن يكون موافِقًا للسُّنة.

كما يجب التنبُّه إلى مراعاة النظافة والتطيب في هذا الذي يَلبَسه -لا سيما الصوف، فهو سريع تغيُّر الرائحة-، فليس معنى أن يتواضع طالب العلم فيما يَلبَس، ألَّا يُراعي فيه هذا، فإن عدم اعتناء المرء -لا سيما طالب العلم- بنظافة نفسه وثيابه وعدم مَسِّ شيء من الطِّيب، يؤدِّي إلى نفرة الناس منه واجتنابهم له، وقد رأيتُ هذا مع الأسف في بعض المشتغلين بالعلم، وكنتُ من شدة التأذِّي لا أستطيع الوقوف بجانبهم فضلًا عن مجاراتهم في الحديث.

وممَّا ورَد في السُّنة من التنبيه على هذا ما ثبَت من أن عائشة رضي الله عنها «**صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **جُبَّةً مِنْ صُوفٍ سَوْدَاءَ فَلَبِسَهَا، فَلَمَّا عَرِقَ وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ فَخَلَعَهَا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ الرِّيحَ الطَّيِّبَ**». أخرجه أبو داود (٤٠٧٤)، والنسائي في «**الكبرى**» (٩٤٨٨)، وأحمد في «**المسند**» (٢٥٠٠٣)، وقال الحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٢٠٩) (٧٣٩٣): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى. ووافقه الذهبي.

(١) وذلك لأنه كان يَسِيح في الأرض فرارًا بدينه من الفتن في زمنه، لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أُمِّه عليها السلام، ولهذا قيل إنه سُمِّي المسيح لذلك. راجع: «**البداية والنهاية**» لابن كثير (٢/ ٥١٩).

والسياحة لهذا الغرض أو لغيره من الأغراض المعتبَرة شرعًا لا شيء فيها، إلا أن السياحة تُكرَه إن كانت لا إلى مكان ومن غير أَرَب، كما يَفعَل بعض النُّسَّاك، أمَّا إن كانت لطلب علم أو جهاد أو رؤية شيخ يُقتَدى به أو قريب يَصِل به رحمه أو غير ذلك من الأغراض المعتبَرة شرعًا، فلا كراهة، بل تأخذ حُكم أصل الفعل. راجع: «**أحكام النساء عن الإمام أحمد**» (ص٦٢)، و«**إحياء علوم الدين**» (٢/ ٢٥٠)، و«**تلبيس إبليس**» لابن الجوزي (ص٢٦٤)، و«**الآداب الشرعية والمنح المرعية**» لابن مفلح (١/ ٤٥٩).

(٢) ليس الفقر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم هنا في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني على معناه

وحَسْبُك من الدُّنيا شيئان: صُحبَة فَقِير[(١)]، وخِدمَة وَلِيٍّ. وعليك بخِدمَة

الظاهر المعهود في كلام الناس من دلالته على العَوَز والحاجة المُحوِجَين إلى الخَلق، فإن من كانت هذه حاله فالناس بين ناظر إليه نظرة شَفَقَة وناظرٍ إليه نظرة ازدراء، وهذا لا يتناسب بأي وجه من الوجوه مع مقام النبوة، ولا هو المراد في كلام الجيلاني، إنما المراد من الفقر هو الاستغناء عن الخَلق بالخالق، والزهد في الدنيا والتقلل منها. راجع: «**الغنية لطالبي طريق الحق** عز وجل» لعبد القادر الجيلاني (٢/ ٤٥٥) وما بعدها.

ولهذا قال ابن السبكي في «**طبقات الشافعية**» (٣/ ١٣٤): وسماعي مرَّاتٍ كثيرات من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله -وهو معتقَدي- أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرًا قطُّ، ولا كانت حالته حالة الفقراء، بل كان أغنى الناس بالله، وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه وعياله ومعاشه.

وأحفظ أن الشيخ الإمام رحمه الله أقام من مجلسه من قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرًا. قيامًا صعبًا، وكاد يَسطُو به، وما نجَّاه منه إلا أنه استتابه واستسلمه...، وكان رحمه الله يشدد النكير على من يعتقد ذلك، والحقُّ معه رضي الله عنه؛ فإن من جاءت إليه مفاتيح خزائن الأرض، وكان قادرًا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يُوصَف بالعَدَم. انتهى.

فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم وغير ذلك من الأموال، وكان أجود من الريح المرسلة، وقد أعطى المؤلفة قلوبهم من أمواله الكثير، وكان يُطعِمه ربُّه ويَسقيه، وكان يُبارك له في طعامه وشرابه؛ فيُصبح القليل في يده صلى الله عليه وسلم كثيرًا، كما ورَد في غير ما حديث، فكلُّ هذا ينفي أن يكون معه النبي صلى الله عليه وسلم فقيرًا بالمعنى المتبادر إلى الأذهان من الفقر.

وأما ما جاء من الأحاديث التي ظاهرها خلاف ذلك، مثل قول عمر رضي الله عنه: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**». أخرجه مسلم (٢٩٧٨)، فليست على ظاهرها، وإنما هي أفعال منه صلى الله عليه وسلم لغرض من أغراض التشريع والبيان لأُمَّته، وغير ذلك من الأسباب التي تجعلنا لا نفهم منها معنى الفقر المعروف بين الناس. وثمة تحرير نفيس لمعنى الفقر في «**سراج المريدين**» للقاضي ابن العربي (٢/ ٤٧٨)، فراجعه إن شئت.

والناظر في هذه الخصال السابقة التي اختص بها كلُّ نبيٍّ يَجِد أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم قد أَخَذ بحظٍ وافر منها بما يتوافق مع كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وكون شريعته آخِر الشرائع.

(١) والفقير هو الذي لا يَستغنِي بشيء دُون الله تعالى. وسيأتي ذِكر هذا في كلام الجيلاني ☜

الفقراء؛ فإنَّه مَن خدَم الفقراء بثلاثة أشياء: بالتواضُع، وحُسن الأَدَب، وسَخاء النَّفْس؛ عَظُم قَدْرُه عند الله تعالى.

وإذا رأيتَ الفقراء أو اجتمَعتَ بالفَقِير، فلا تَبدَأْه / بالعِلم؛ فإنَّ العِلم يُوحِشه. [٨/ ظ]
وابدَأْه بالرِّفْق؛ فإنَّ الرِّفْق يُؤنِسه. واصحَب الفقراء بالتذلُّل، والأغنياء بالتعزُّز. وأَمِتْ نفسَك حتَّى تَحيَا. وأَقرَبُ الخَلق إلى الله تعالى أَوسَعُهم خُلُقًا.

ولا تَجعَل حوائجَك بأحدٍ اتِّكالًا على ما بينك وبينه من الصَّداقة والمودَّة؛ فإنَّ الله تعالى -وله الحمد- فرَض لكُلِّ مؤمنٍ فَرْضًا، وإنَّ الفقر والتصوُّف مَذْهَبٌ كُلُّه جِدٌّ، فلا تَخلِطهُما بشيء من الهَزْل.

وعليك إذا اجتمَعتَ بالفقراء فَأْمُرْهُم بالتواصُل[١] بالحقِّ والتواصِي بالصبر. وإنَّ الفَقِير لا يَستغنِي بشيء دُون الله سبحانه وتعالى.

وَصيَّتِي[٢] لك ولِمَن سمِعها ولسائرِ المُرِيدين كثَّرهم اللهُ تعالى. واللهُ تعالى يُوفِّقنا وإيَّاك لِمَا ذكَرناه وبَيَّنَّاه، ويَجعَلنا وإيَّاك مِمَّن يَقْفُو آثار السَّلَف،

بُعيد هذا المَوضِع.

وراجع في أسباب صحبة الفقراء وآدابها: «**تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**» لأبي الليث السمرقندي (ص٢٢٨ وما بعدها)، و«**الغنية لطالبي طريق الحق** ﷻ» لعبد القادر الجيلاني (٢/ ٤٥٥) وما بعدها. وانظر: «**مقاصد الرعاية لحقوق الله** ﷻ» للعز ابن عبد السلام (ص١١٩).

(١) كذا في الأصل. وفي «**بدء العلقة بلُبس الخرقة**» للمصنِّف (ص١٥٧): بالتواضع. وفي «**الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية**» (ص٣٧): بالتواصي. وأما ما جاء في «**فتوح الغيب**» للجيلاني نفسه (ص١٠٤): وعليك بالحق والصبر. انتهى. وكلُّها بمعنًى.

(٢) أي: هذه وصيتي. وراجع: «**الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية**» (ص٣٧).

ويَترُكَ عند الحقِّ هوَاه إن شاء الله تعالى. هذا آخِر وصيَّة شيخ الطَّرِيقة(١).

وقد لبِسنا الخِرْقَة المبارَكة عن جماعة أُخُر يَطُول بنا الأمر بذِكر طُرُقهم، ومَن أَراد ذلك فلْيَنظُر في كتابنا الموضوع بسبب ذلك المسمَّى بـ«**بُدُو**(٢) **العُلْقَة**(٣) **بلُبْس الخِرْقَة**»(٤). وحاصِل ذلك حُصُول الخير والسعادة في الدُّنيا والآخِرة / بآثار الصالِحِين والأولياء، وبدُعائهم وبلَحْضِهم(٥)، وبأخذِ العِلم منهم. [٩/و]

[على طالب العلم أن يتَّصف بالسكينة والحِلم والوقار]

أخبرنا جماعة من شيوخنا، أخبرنا ابن حَجَر، أخبرنا الأزهري، أخبرتنا عائشة بنت علي، أخبرنا أحمد بن علي، أخبرنا البُوصِيرِي والأَرْتاحِي، أخبرنا ابن الفَرَّاء، أخبرنا أبو القاسم الضَّرَّاب، أخبرنا أَبِي، أخبرنا الدِّينَوَرِي، حدَّثنا

---

(١) أي: الطريقة القادرية التي تُنسَب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. وقد كان المصنِّف يَسلُك طريق التصوف وَفق هذه الطريقة، كما تقرَّر في مقدمة التحقيق.
وهذه الوصية أَورَدها عبد القادر الجيلاني في كتابه «**فتوح الغيب**» (ص١٠٢ وما بعدها).
وذكَرها عنه المصنِّف أيضًا في رسالته «**بدء العلقة بلبس الخرقة**» (ص١٥٥-١٥٧).

(٢) كذا في الأصل بالواو. وفي عنوان المطبوعتَين من هذه الرسالة: بدء. بالهمزة. وأنا في ريبٍ من قراءتها هكذا!

(٣) العلقة بالضم: كُلُّ ما يُتبَلَّغ به من العَيش. «**القاموس المحيط**» (ص٨٢٠) (ع ل ق). وهي في عنوان رسالة المصنِّف من باب المعنى المجازي كما هو واضح.

(٤) راجع: «**بدء العلقة بلبس الخرقة**» (ص١٥٣ وما بعدها).

(٥) كذا في الأصل. والجادة: بلحظهم. والمراد: بعنايتهم ورعايتهم واهتمامهم. وقد تقدم توجيه كتابة المصنِّف هذه الكلمة وغيرها بالضاد بدلًا من الظاء عند وصفنا للنسخة الخطية المعتمدة في التحقيق.

محمد بن عبد العزيز، حدَّثنا محمد بن بَكَّار، حدَّثنا عَنْبَسَة بن عبد الواحد، حدَّثنا عمر(١) بن عامر، قال:

قال عمر بن الخطاب: تَعَلَّمُوا العِلمَ، وتَعَلَّمُوا لِلعِلمِ السَّكِينَةَ [والحِلْمَ](٢)، وتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُون(٣) مِنْهُ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُم مَنْ تُعَلِّمُونَ، ولا تَكُونُوا مِن جَبَابِرَةِ العُلَمَاءِ؛ فَلا يَقُومُ عِلمُكُم بِجَهْلِكُم(٤).

[فضلُ العلم وعِظَمُ قَدْرِ العالِم]

ولْيَعلَم طالِب العِلم قَدْر ما يَطلُب وما يَعمَل فيه، وأنَّ طُرُق المَشْيِ في طلب العِلم هي طُرُق الجَنَّة مفروشة له بأجنحة الملائكة.

أخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري،

---

(١) كذا بالأصل. وفي «**المجالسة وجواهر العلم**» (٤/ ٣٩): عمرو. وهو الصواب كما في مصادر تخريج الأثر، ومصادر ترجمته.

(٢) ليست في الأصل. وأثبتناها من مصادر التخريج.

(٣) في الأصل: تعلموا. والصواب ما أثبتناه من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه المصنِّف هنا من طريق الدينوري، وقد أخرجه الدينوري بالسند الذي ذكَره المصنِّف في «**المجالسة وجواهر العلم**» (٤/ ٣٩) (١١٩٧)، وأخرجه وكيع في «**الزهد**» (٢٧٥)، وعنه الإمام أحمد في «**الزهد**» (٦٣٠)، والخطيب البغدادي في «**الجامع**» (٤١)، وله طُرُق أخرى لا تخلو من مقال، لكن مجموع هذه الطرق عن عمر -كما يقول محقِّق «**جامع بيان العلم وفضله**» (١/ ٥٠٢، ٥٤٢)- يَجبُر بعضها بعضًا، وتدل على أن للأثر أصلًا، ولهذا حكَم عليه بالحُسن موقوفًا على عمر رضي الله عنه.

وهذا المعنى الذي في الأثر تواترت به أقوال السَّلَف والعلماء.

أخبرنا حنبل، أخبرنا ابن الحُصَيْن، أخبرنا ابن المُذْهَب، أخبرنا أبو بكر القَطِيعِي، أخبرنا عبد الله، حدَّثني أَبِي، حدَّثنا أَسوَد بن عامر، أخبرنا أبو بكر، عن الأعمش، عن أبي صالح،

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

وبه إلى الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن يَزِيد، أخبرنا عاصم بن رَجَاء، عن قَيْس بن كَثِير، قال:

قَدِمَ رَجُلٌ من المدينة إلى / أَبِي الدَّردَاء وهُوَ بدِمَشق، فقال له: ما أَقْدَمَكَ، [٩/ ظ] أَيْ أَخِي؟ قال: حديثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّث به عن رسول الله ﷺ. قال: أَمَا قَدِمتَ لِتِجَارَة؟ قال: لا. قال: أَمَا قَدِمتَ لِحَاجَة؟ قال: لا. قال: ما قَدِمتَ إِلَّا في طلبِ هذا الحديث؟ قال: نَعَم. قال:

فَإِنِّي سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقُول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رضًا بما يَطْلُبُ**(٢)، **وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٣١٦)، ومسلم (٢٦٩٩).

(٢) قوله: رضًا بما يطلب. كذا في الأصل. أمَّا ما في «**المسند**» من حديث أبي الدرداء الذي روَى ابن المبرد الحديث هنا من طريقه: **رضًا لطالب العلم**. ولكن جاء كما ذكَره المصنِّف في رواية أخرى للحديث في «**المسند**» (١٨٠٨٩)، (١٨٠٩٥). فيكون المصنِّف قد خلط بين الروايتين، وهذا دليل على ما ذكَرناه من أنه كان يَكتُب من حفظه، وأنه لا يكاد يترك قلمه وهو يكتب من سرعة كتابته.

فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ[1] الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَه، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[2]. وقد رَوَى البخاري بعضَه تعليقًا[3].

ولو عَلِم الخَلْقُ حقيقة قَدْر العالِم عند الله ﷻ لَحُقَّ لكُلِّ أحد أن يَفرُش له خَدَّه لِيَمشِي عليه، وإنَّما صار النَّاس في هذا الزَّمان يَمقُتُون العلماء، ويَكرَهُونَهم؛
لِتَنفِر قلوب الناس / عن التعلُّم؛ فيَقَع الزُّهد من الناس في تعلُّم العِلم ليَزُول [١/ و]
العِلم بالكُلِّيَّة ويُرفَع، ويَثبُت الجَهْل[4]، كمَا قد ورَد معنى ذلك في حديث رُوِّيناه

---

(١) في «المسند»: هم ورثة. وكما ذكَره المصنِّف في ابن ماجه (٢٢٣)، وأبي داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢). وقد حكَم عليه محققو المسند بأنه حسن لغيره.

(٣) في «بَاب: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»، وهو قوله: «**وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**» (١/ ٢٤). لكن قول المصنِّف أن هذا من تعاليق البخاري فيه نظر؛ إذ لم يَنُصَّ البخاري على كونه حديثًا، ولهذا قال الحافظ ابن حجر عن ذلك في «**فتح الباري**» (١/ ١٦٠): ولم يُفصِح المصنِّف بكونه حديثًا، فلهذا لا يُعَدُّ في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يُشعِر بأن له أصلًا. انتهى. ولذلك لم يُورِده الحافظ في «**تغليق التعليق**».

(٤) وقد استشرى هذا الأمر في زماننا هذا؛ فقد اجتمع الملاحدة والعلمانيون والفَسَقَة من المسلمين على بُغض العلم والعلماء، والحط من قدرهم، وإذاعة ذلك في الناس، ليُثنُوهم عن الشرع بالكُلِّيَّة، إذ العلم لا يذهب إلا بذَهاب العلماء.
ومع الأسف فإن بعض المشتغلين بالعلم من الشُّداة غير الراسخين يساعدونهم على ذلك بأمرين: **الأول**: سوء أخلاقهم وعدم اعتنائهم بتهذيب أنفسهم بما يليق بما يشتغلون به من العلم؛ فيُخالطون الناس بهذه الأخلاق، فيذهب تعظيم العلم والعلماء من قلوب الناس

في الآيات والعلامات: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَصِيرَ العلماءُ عِندَ النَّاسِ أَنْتَنَ مِنْ جِيفَةِ حِمارٍ»[1].

[تعيُّن لُزُوم طاعة الله تعالى على طالب العلم]

ومِن المُتعَيَّن على طالِب العِلم لُزُومُ طاعة الله ﷻ، وذلك بِفِعل المأمور به، وتركِ المحظور، واجتنابِ المعاصِي جميعِها، وممَّا يُنسَب إلى الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوْءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لَا يُؤتَاهُ عَاصِ

[من الأمور المُعِينة على حفظ العلم وفَهْمه]

وممَّا يُصَفِّي القلبَ لحِفظ العِلم والفَهْم أَكْلُ الحلال؛ فإنَّ العالِم لَيأكُل اللُّقْمَة من الحرام، فيُسلَب بها جُملة من العِلم.

وقد ورَد أنَّ رَجلًا جاء إلى الإمام أحمد، فقال له: بما تَطمَئنُّ القلوب؟ فقال:

بسبب ذلك. **الثاني**: طعنُهم في أئمة الدين ونَقَلَة العلم والحط من شأنهم؛ بنسبتهم إلى البدعة تارةً، وبمخالفة مناهج العلم وأصول الفهم التي قرَّرها هؤلاء العلماء من خلال استقراء الشريعة والتوهينِ منها تارةً أخرى!

(١) أخرجه الآجري في «**أخلاق العلماء**» (ص٨٨) من قول مكحول بإسناد صحيح.

(٢) البيتان من الوافر، وهما للشافعي في «**المحمدون من الشعراء**» للقفطي (ص١٣٨)، و«**الداء والدواء**» لابن القيم (ص١٣٢)، و«**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**» لعبد القادر القرشي (١/ ٥٤٠)، وهما دُون نسبة في «**جزء فيه أخبار لحفظ القرآن**» لابن عساكر (ص٢٩)، و«**ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**» للزمخشري (٤/ ٨٦).

بأكلِ الحلال. ثُمَّ إنَّه ذهَب إلى سُفيان بن عُيَيْنَة، فقال له: بِمَ تَطمَئنُّ القلوب.
[١٠/ظ] / فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فقال: سألتُ أحمد ابن حنبل. قال: فتبَسَّم، وقال: سألتَه؟! قال: نَعَم. قال: ومَا قال لك؟ قال: قال: بأكلِ الحلال. قال: أتاك بالأصل. قال: ثُمَّ ذهَب إلى عبد الوهاب الورَّاق[١]، فقال له: بِمَ تَطمَئنُّ القلوب؟ فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فقال: سألتُ أحمد بن حنبل. قال: فتغَيَّر وارتَعَد، وقال: ما قال لك؟ قال: قال: بأكلِ الحلال. فقال: أتاك بالأصل[٢].

فمَن واضَبَ[٣] على أكل الحلال صفَا قلبُه للعِلم والفَهْم، واستُجِيبَ دُعاؤه.

وأكلُ الحرام يَسلُب العِلم ويَرُدُّ الدُّعاء كمَا صَحَّ في الحديث عن «**الرَّجُلِ يُطِيْلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ: يَارَبِّ، يَارَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»[٤].

---

(١) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع البغدادي الورَّاق، إمام كبير الشأن، روَى عنه أبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة ٢٥١هـ. راجع: «**سير أعلام النبلاء**» (١٢/ ٣٢٣).

(٢) روَى هذه الحكاية أبو نُعيم في «**الحلية**» (٩/ ١٨٢) بسنده إلى الإمام أحمد، ومن طريق أبي نُعيم ابنُ الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**» (ص٢٦٩)، كلاهما عن عمر بن صالح أنه سأل الإمام، وذكَرها ابن أبي يعلى في «**طبقات الحنابلة**» (٢/ ١٠٨)، والبرهان ابن مفلح في «**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**» (٢/ ٣٠٠).
إلا أن تلك المصادر تَذكُر بشرَ بن الحارث بدلًا من سفيان بن عيينة. بالإضافة إلى تغيُّر في بعض ألفاظ الحكاية وسياقها عمَّا ذكَره المصنِّف.

(٣) كذا في الأصل. والجادة: واظب. وقد تقدَّم بيان توجيه كتابة المصنِّف مِثل هذه الكلمة بالضاد.

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨).

[من الأمور المسبِّبة للحرمان من العِلم والخير
الوقوعُ في حقِّ العلماء والصالحين]

والحَذَرَ كُلَّ الحذر من الوقوع في حَقِّ أحدٍ من أهل الخير والطاعة من المشايخ أو غيرهم؛ فإنَّ ذلك هو السبب / الذي يَحصُل به الحِرمان والحَجْبُ [١١/ و] عن السعادة والعِلم والخير[١]، فقد صَحَّ في الحديث الإلهي، يَقُول اللهُ ﷻ: **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ، وَإِنِّي لأَغْضَبُ لِأَوْلِيَائِي كَمَا يَغْضَبُ اللَّيْثُ الحَرِدُ[٢]»**[٣].

ولْيَحذَرْ أيضًا من كَسْرِ قلوب الفقراء والمساكين، فإنَّ الله ﷻ يَقُول: **«أَنَا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ»**[٤].

---

(١) وكأن المصنِّف رحمه الله يُحذِّر أهل زماننا؛ إذ أصبح الوقوع في العلماء وأهل الصلاح ديدن كثير من الجهلاء المحرومين، هدانا الله وإياهم إلى أفضل الأخلاق وأحسنها.

(٢) الحرد: يقال: حَرِدَ الرجلُ، فهُو حَرِدٌ: إذا اغْتَاظ فتَحَرَّش بالَّذِي غاظَه وهَمَّ به. راجع: «**تهذيب اللغة**» (٤/ ٢٣٩) (ح ر د).

(٣) الحديث بهذا السياق رواه البغوي في «**شرح السنة**» (١٢٤٩) من حديث أنس عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة تبارك وتعالى، وذكَره الحكيم الترمذي في «**نوادر الأصول**» (٢/ ٢٣٢)، قال: عن أنس...إلخ. وقد حكَم عليه محققا «**شرح السنة**» بأن إسناده ضعيف.
والشطر الأول من الحديث: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ**» دُون الشطر الثاني أخرجه ابن أبي الدنيا في «**الأولياء**» (١)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**» (٦٠٩) من حديث أنس، وفي سنده ضعف كما قال الحافظ في «**الفتح**» (١١/ ٣٤٢).
لكن روَى البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) هذا الشطر بلفظ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

(٤) أخرجه أحمد في «**الزهد**» (٣٩١) عن عمران القصير، وأبو نُعيم في «**الحلية**» (٢/ ٣٦٤) ☜

إذا تَبيَّن لك ما ذُكِر فينبغِي لطالِبِ العِلم أَوَّلًا أن يُصلِح نِيَّته في طلب العِلم ومع الله ﷻ، ويأكلَ الحَلَال، ولا يَلبَسَ العالِي من اللِّباس، بل يَكُونَ في أَدْوَنِه؛ لله ﷻ، وإلَّا ففي أَوْسَطِه، وإن كان من الصُّوف كان أَحْسَنَ[1]؛ مُتحرِّيًا فيه السُّنَّة.

[آداب طالب العلم مع شيخه]

وإذا أراد طلبَ عِلمٍ توضَّأ وصَلَّى ركعتين، ويَقصِد هو الشيخَ إلى مكانِه ماشِيًا ما لم يَشُقَّ عليه[2]؛ فإنَّ طلب العِلم يَعدِل الجهاد في سبيل الله، بل

عن مالك بن دينار، قالا: «قال موسى بن عمران: **أَيْ ربِّ، أين أَبْغِيك؟ قال: ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ**».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «**الهم والحزن**» (٦١) عن عبد الله بن شوذب، والبيهقي في «**الزهد**» (٣٦٧) عن عبد الكريم بن رشيد، لكنهما ذكَرَا داود عليه السلام بدلًا من موسى عليه السلام.

قال الملا علي القاري في «**الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**» (٧٠): لا أصل له في المرفوع. انتهى.

قلتُ: لكن معناه صحيح؛ فيُشبِهه -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية والشمس ابن القيم- حديث مسلم (٢٥٦٩): «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**». راجع: «**مجموع الفتاوي**» لابن تيمية (٢/ ٣٨٥)، و«**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**» لابن القيم (ص٢٥٥).

(١) تقدَّم الكلام عن لُبس الصوف واستحبابه (ص١٤٩)، حاشية رقم (١).

(٢) المشي إلى أماكن العبادات مستحب في الجملة ما لم يشق كما قال المصنِّف؛ لِما فيه من حصول الأجر والثواب وتكفير الذنوب، كما جاء في حديث البخاري (٦٥١) من قوله ﷺ: «**أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى**».

وطلبُ العلم من أفضل العبادات، ولهذا ورَدت الآثار عن كثير من السَّلَف والعلماء في قطع

ويَفضُل عليه، ومَن اغْبَرَّت قَدَماه في سبيل الله حرَّمَهما الله على النار[(١)].

وإذا وصَل مكانَ الشيخ تَلطَّف لخُرُوجه -إن لم يَجِده جالِسًا- بالرِّفْق والذُّل والانكسار والخُضوع / والتواضُع، وإذا وجَده جلَس بين يديه مُتواضِعًا [١١/ ظ] مُتخشِّعًا مُتذلِّلًا له، مُمتثِلًا ما يُشِير إليه به[(٢)].

ويَحرِص غاية الحِرص أن يَكون من أهل الخير والدِّين والصلاح؛ فإنَّ مَن هو على هذه الحال يُرجَى الانتفاع به. ولْيَحذَر غاية الحَذَر أن يَكون من أهل البِدَع والزَّيْغ[(٣)]، ثُمَّ ألَّا يَكُون من أهل المعاصي والفُسُوق. ولا يُضجِره ولا يُمِلّه.

المسافات الطويلة مشيًا إلى مجالس العلم والتحديث وتركِ الركوب، ومنها قول أبي حاتم الرازي: أقمت سنين أحصيت ما مشيتُ على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى لمَّا زاد على ألف فرسخ تركتُه. وقول الحافظ محمد بن طاهر المقدسي: ما ركبتُ دابةً قطُّ في طلب الحديث. راجع «**تاريخ بغداد**» (٢/ ٤١٤)، (١١/ ٩٢).

(١) هذا حديث أخرجه البخاري (٩٠٧) من حديث أبي عَبْس أنه ﷺ قال: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**».

(٢) ما أحوجنا إلى هذا الخُلق في زماننا هذا، وهو من أخلاق السَّلَف، وقد تقدم ذِكر المصنِّف حديثَ أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، فالتواضع والخضوع والانكسار لِمَن يؤخذ عنهم العلم هو دأب الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) ولكن لا بُدَّ من التنبيه على عدم التوسُّع والغلو في هذا الباب، لأن من المنتشر في زماننا هذا من بعض المشتغلين بالعلم من الشُّداة غير الراسخين= إطلاقَ ألسنتهم في هذا الباب، ولا يَجُوز للشُّداة في العلم ابتداءً أن يَتكلَّموا في مِثل هذا؛ لدقَّته وتشعُّب قواعد وأصول النظر الحاكمة له، ولأنه يحتاج إلى رجل بلَغ في متانة الدِّين مبلغًا يَمنَعه من الجَور وعدم الإنصاف وإن ظُلِم ولم يُنصَف، وهذا ليس في مقدور الشُّداة! وسامَح الله الذين زيَّنوا لعوام الناس وشُداة الطلبة استباحة التكلُّم في العلم والدِّين، وأزالوا من قلوبهم الهيبة من ذلك، وهذا مخالفٌ تمام المخالَفة لِمَا كان عليه السَّلَف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة أهل العلم!

[آداب طالب العلم في نفسه]

ويَنبغِي لطالِب العِلم:

أَلَّا يَنام إذا نامَ الناس؛ لِعَظيمِ ما يَطلُب، فإنَّ مَن طلَب الأشياء النفيسة يَحِقُّ له أَلَّا يَنام عنها، ويَقِلُّ نَومُه لأجْلها[1].

ولا يَغفُلَ إذا غفَل الناس؛ لأنَّ مَن طلَب النفيس الغالي لا يَغفُلُ عنه.

ولا يَفرَحَ بالدُّنيا إذا فَرِحَ الناس بها.

ولا يَلهُوَ إذا لَهَا الناس.

ولا يَشغَلَ قلبه بشيء يُلهِيه عن العِلم.

ولا يأكُلَ ما يُفسِدُ عليه فَهْمَه؛ لِأَجْلِ العِلم، وقد ورَد عن ابن الأنباري[2] رحمةُ الله عليه أنَّه كان يَحفَظ شيئًا كثيرًا لا يُذكَر مِثلُه لغيره، فيقال: إنَّ من جملة ما كان يَحفَظ مئةً وعشرين تفسيرًا على القرآن بـ: حدَّثنا وأَخبَرنا. / وأنَّه [١٢/ و]
كان لا يأكُل شيئًا من الثِّمَار لِأَجْل حِفظه، ولا يأكُل شيئًا من الأطعمة والطبائخ

(١) لفظة: لأجْل. مستعملة في مصنَّفات أهل العلم من الفقهاء وغيرهم من أصحاب الفنون الأخرى، لكن قال النووي في «**المجموع شرح المهذب**» (٣/ ٩): وأما قول المصنِّف: لأَجْل التخفيف. فهُو ممَّا أُنكِر على الفقهاء من الألفاظ، وقِيل: إن صوابه: مِن أجل. قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢]، وهذا هو المعروف في استعمال العرب وكتب اللغة. انتهى.

(٢) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشَّار بن الحسن الأنباري النحوي اللغوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظًا، له «**شرح القصائد السبع الطوال**»، و«**المذكر والمؤنث**» وغيرهما، توفي سنة ٣٢٨هـ. راجع: «**إنباه الرواة**» (٣/ ٢٠١).

المُرَطَّبَة؛ لذلك، ولا يَشرَب البارِد حتى إنَّه كان قد اقتصَر على القَلِيَّة[1] من الأطعمة، وإنَّه كان يأخُذ الرُّطَبَة[2] في أيام الرُّطَب فيَشَمُّها، ويَقُول: والله إنَّك لَطَيِّبٌ، ولكنَّ ما أَحفَظُ أَطْيَبُ منك.

وأنَّه كان مع الخَلِيفة[3] في بعض الغزوات فصُنِعت الأطعمة الفاخرة فلم يأكُل منها، بل عُمِل له تلك القَلِيَّة، فأَكَلها، وقام الناس إلى المياه المُبَرَّدة، فجلَس هو لا يَشرَب إلى قُرْب العصر، ثُمَّ شرِب من المياه الحارَّة[4].

ويُذكَر عنه أنَّه رأَى مَرَّة جارية حسناء تُباع في سُوق النَّخَّاسِين فوقَعتْ بقلبه، فذكَر أمرَها للخَلِيفة، فاشتراها وأَرسَل بها إليه، فقال: ضَعُوها في تلك العُلِّيَّة[5] حتى نَستَبرئها[6]، ثُمَّ جاء بَيْتَ كُتُبه فأقام فيه ساعة، ثُمَّ قال: عليَّ بالجارية. فلمَّا

---

(١) القلية: ضَرْبٌ من الطعام يُطبَخ بغير ماء، ولذلك فإنها تُوصَف بكونها يابسة. راجع: «**شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**» للحميري اليمني (٨/ ٥٦٠٨)، و«**المُغرِب في ترتيب المعرب**» للمطرزي (ص٢٨٧).

(٢) هي الواحدة من الرُّطَب، وهو ثمر النخل إذا نضج قبل أن يتَتَمَّر. راجع: «**المصباح المنير**» (١/ ٢٢٩) (ر ط ب).

(٣) هو الخليفة الراضي بالله محمد ابن المقتدر بالله جعفر، كما في مصدرَي التخريج، وهو من خلفاء الدولة العباسية، وكان من خيرة الخلفاء، تُوفِّي سنة ٣٢٩هـ. انظر ترجمته في: «**سير أعلام النبلاء**» (١٥/ ١٠٣).

(٤) هذا الخبر أَورَده بنحوه الخطيب البغدادي في «**تاريخ بغداد**» (٤/ ٢٩٩)، والقفطي في «**إنباه الرواة**» (٣/ ٢٠٣). وقد جاء في نهاية هذا الخبر عندهما من قول الخليفة الراضي: لا يَنبغِي أن يكون العلم في قلب أحد أَحلَى منه في صدر هذا الرجل!

(٥) العلية: الغُرْفَة. راجع: «**المخصص**» لابن سِيده (١/ ٥١٠).

(٦) الاستبراء: أن يَشترِي الرجلُ جاريةً فلا يطؤها حتى تَحِيض عنده حيضةً، ثُمَّ تَطهُر. راجع: ☜

أُتِيَ بها قال: اذهبوا بها فرُدُّوها على الخَلِيفة.

فلمَّا خرَجتْ من الدار قالت: رُدُّوني إليه لِأُكلِّمه كلمةً. فلمَّا جاءته قالت: أنت رَجُل كبير، وإذا رَددتَّني بعد أن قَبِلتَني وقد كنتَ ذكَرتَ أنِّي وقَعتُ بقلبك؛ يَقُول الناس: إنَّ ذاك لأمر رأَيتَه فيَّ. أَخبِرنِي لِأَيِّ شيء رَددتَّني بعد / أن قَبِلتَنِي، ثُمَّ افعَلْ ما بَدَا لك. [١٢/ظ]

فقال: والله لا شيء، إلَّا أنَّه ليس مِن قَدْرِك أن تُلهِينِي عن العِلم. قالت: ليس إلَّا هذا. قال: ليس إلَّا هذا[(١)].

كأنَّه لمَّا دخَل بَيْتَ كُتُبه اشتَغَل قلبُه بها عن العِلم؛ فرَدَّها. فلِهذا يَصلُح طلبُ العِلم.

[الاعتناءُ بفَهم العلم أكثر من حفظه والصبرُ على ذلك]

أخبرنا جَدِّي، أخبرنا الصلاح بن أبي عمر، أخبرنا الفَخْر بن البخاري، أخبرنا ابن الجَوْزِي، سمِعتُ أبا القاسم السمرقندي يقول: سمِعتُ محمد بن عطاء يقول: سمِعتُ أبا نصر محمد بن أحمد يقول: سمِعتُ أبا حاتم الرازي يقول: سمِعتُ أبا طاهر المروزي يقول: سمِعتُ محمد بن الحارث المروزي يقول: سمِعتُ محمد بن محمود يقول: سمِعتُ حمدان بن إبراهيم يقول:

«تهذيب اللغة» (١٥/ ١٩٥) (ب ر أ). وقال المصنِّف في كتابه «**الدُّر النقي في شرح ألفاظ الخِرقي**» (ص٦٩٥، ٦٩٦): الاستبراء: استفعال من: بَرَأ، ومعناه: قَصْدُ عِلْمِ براءة رَحِمِها من الحَمْل بأخذ ما يُستَبْرأ به.

(١) أورَد هذه القصة الخطيب البغدادي في «**تاريخ بغداد**» (٤/ ٢٩٩)، والقفطي في «**إنباه الرواة**» (٣/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وسياق القصة عند المصنِّف قريبٌ من سياقها عند الخطيب البغدادي.

سمِعتُ إبراهيم بن عبد الله يقول: سمِعتُ عبد الله بن المبارك يقول:

سمِعتُ سفيان بن عُيَيْنَة يقول: طلَبتُ هذا العِلم عشر سِنين، وطلَبتُ تفسيرَه عشرين سنة[1].

[طالب العلم يستفيد ممَّن هو مِثله وممَّن هو دُونه]

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ ظَفَر بن علي يقول: سمِعتُ عبد الغافر بن إسماعيل الفارِسي يقول: سمِعتُ أبا الحسن المُزَكِّي يقول: سمِعتُ يحيى بن إسماعيل يقول: سمِعتُ أحمد بن / حَمْدُون يقول: سمِعتُ علي بن خَشْرَم يقول: [١٣/ و]

سمِعتُ وكِيْع بن الجَرَّاح يقول: لا يَنبُلُ الرَّجُلُ مِن أصحابِ الحديثِ حتى يَكتُبَ عمَّن فَوْقَه، وعمَّن هو مِثلُه، وعمَّن هو دُونَه[2].

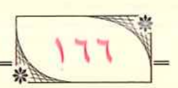
[العلوم التي ينبغي على طالب العلم العناية بها]

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ أبا محمد المُقْرِئ يقول: سمِعتُ عبد الله بن عطاء يقول: سمِعتُ أبا عبد الله الإسْكَنْدَرِي يقول: سمِعتُ أبا منصور الأَزْدِي يقول: سمِعتُ أبا العباس بن فَرَاشَة يقول: سمِعتُ أحمد بن منصور يقول: سمِعتُ الحسن بن محمد يقول: سمِعتُ محمد بن المُغِيرَة يقول: سمِعتُ يونس بن عبد الأعلى يقول:

---

(١) روَى المصنِّف هذا الأثر هنا من طريق ابن الجوزي، وهو في «**مسلسلات**» ابن الجوزي (ق٢٤/ ظ)، الحديث السادس والخمسون.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٤/ و)، الحديث الثامن والخمسون، والخطيب البغدادي في «**الجامع**» (٢/ ٢١٦) (١٦٥٥).



سمِعتُ الشافعي يقول: إذا رأَيتُ الرَّجُلَ من أصحابِ الحديثِ فكأَنِّي رأَيتُ رَجُلًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ(١).

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ ظَفَر بن علي يقول: سمِعتُ أبا الفتح أحمد ابن عبد الله يقول: سمِعتُ أبا بكر بن أبي علي يقول: سمِعتُ الحسين بن سعيد يقول: سمِعتُ محمد بن زُغْبَة يقول: سَمِعتُ يونس يقول:

سمِعتُ الشافعي يقول: / مَن حَفِظَ القرآنَ عَظُمَتْ قِيمتُه، ومَن تَفَقَّه نَبُلَ قَدْرُه، ومَن كتَب الحديثَ قَوِيَتْ حُجَّتُه، ومَن نظَر في اللغة والعربية رَقَّ طَبْعُه، ومَن لم يَصُنْ نَفْسَه لم يَنْفَعْه عِلمُه(٢). [١/ ظ]

[تحذير طالب العلم من الوقوع في المعاصي وعدم العمل بما يَعلَم]

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ أبا القاسم السمرقندي يقول: سمِعتُ أبا محمد بن عطاء يقول: سمِعتُ أبا نصر محمد بن أحمد يقول: سمِعتُ أبا حاتم

(١) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٤/ و)، الحديث التاسع والخمسون، وأبو نُعيم في «**الحلية**» (٩/ ١٠٩)، والخطيب البغدادي في «**شرف أصحاب الحديث**» (ص٦٤)، والبيهقي في «**مناقب الشافعي**» (١/ ٤٧٧).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٤/ و)، الحديث الستون، من طريق يونس عن الشافعي، وأبو نُعيم في «**الحلية**» (٩/ ١٢٣)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (١/ ٥١١) (٨٢٢) من طريق الربيع عن الشافعي، والبيهقي في «**مناقب الشافعي**» (١/ ٢٨٢) من طريق المزني عن الشافعي.

الرازي يقول: سمِعتُ محمد بن جعفر الجُرجاني يقول: سمِعتُ الحسين بن جعفر يقول: سمِعتُ محمد بن زُغْبَة يقول: سمِعتُ يونس بن عبد الأعلى يقول:

سمِعتُ الشافعي يقول: كتَب حَكِيمٌ إلى حَكِيمٍ: يا أَخِي قد أُوتِيتَ عِلمًا فلا تُدَنِّسْ عِلمَك بِظُلمةِ الذُّنُوبِ؛ فَتبقَى في الظُّلمةِ يومَ يَسعَى أهلُ العِلمِ بِنُورِ عِلمِهِم[1].

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ ظَفَر بن علي يقول: سمِعتُ أبا الفتح محمد ابن أحمد يقول: سمِعتُ أبا زُرْعَة البُسْتِي يقول: سمِعتُ الحسين بن علي التميمي يقول: سمِعتُ أبا الحسن علي بن محمد يقول:

سمِعتُ يحيى بن معاذ الرازي[2] يقول: المَغْبُونُ مَن عطَّل أيَّامَه بالبَطَالَات، وسلَّط جَوارِحَه على / الهَلَكات، ومات قَبْلَ إفَاقته من الجِنَايات[3]. [١٤/و]

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ علي بن أحمد يقول: سمِعتُ هَنَّاد بن إبراهيم يقول: سمِعتُ أبا عبد الله محمد بن أحمد الحافظ يقول: سمِعتُ أبا أحمد المروزي يقول: سمِعتُ أبا بكر بن إسحاق يقول:

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٥/ و، ظ)، الحديث الخامس والستون، وفي «**القُصَّاص والمُذكِّرين**» (ص٢٠٨) (٦٢)، وأبو نُعيم في «**الحلية**» (٩/ ١٤٦).

(٢) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، من كبار المشايخ الزُّهَّاد الوعاظ، روَى الحديث وحدَّث، تكلم في علم الرجاء فأحسن فيه إلى الغاية، توفي سنة ٢٥٨هـ. راجع: «**طبقات الصوفية**» للسُّلَمِي (ص٩٨)، و«**سير أعلام النبلاء**» (١٣/ ١٥).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٥/ و)، الحديث الثامن والستون، والبيهقي في «**الزهد الكبير**» (٧٧٨)، والخطيب البغدادي في «**المنتخب من كتاب الزهد والرقائق**» (١١١).

سمِعتُ عليَّ بن مَعْبَد[١] -وكان من الأَبْدَال[٢]- يقول: رأيتُ القيامةَ في

(١) هو علي بن مَعْبَد بن شَدَّاد العَبْدِي الرَّقِّي، الإمام، الحافظ، الفقيه، من كبار الأئمة، روَى عن الليث بن سعد والشافعي وخَلقٍ. روَى عنه يحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلام وخَلقٌ كثير، وكان من الزُّهَّاد النُّسَّاك، توفي سنة ٢١٨هـ. راجع: «**حلية الأولياء**» (١٠/ ٢٢٧)، و«**سير أعلام النبلاء**» (١٠/ ٦٣١).

(٢) الأبدال: له معانٍ؛ منها: أنهم الذين يُبدِّلون من أخلاقهم وأفعالهم الذميمة أخلاقًا وأفعالًا حميدة، وبذلك يصلون إلى رتبة أحباب الله تعالى. كما في «**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**» للراغب الأصفهاني (ص١١٢). وقيل: هُم أهل الصلاح وأرباب القلوب المجتمعة على السعي إلى الله تعالى بالضراعة والابتهال. كما في «**إحياء علوم الدين**» للغزالي (١/ ٢٧٠). وقيل: هُم أبدال الأنبياء والقائمون مقامهم، كلٌّ منهم يقوم مقام الأنبياء في القَدْر الذي ناب عنهم فيه: هذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعًا. كما في «**مجموع الفتاوي**» لابن تيمية (٤/ ٩٧).

وهو مصطلح ذائع عند أصحاب التصوُّف كغيره من المصطلحات الشهيرة عندهم، كالأوتاد والنجباء والأقطاب، ولا عَتَبَ عليهم في ذلك، فهُم كغيرهم من أصحاب سائر الفنون لهم اصطلاحات خاصة يصطلحون عليها لضبط صناعتهم، ولا يُعترَض عليها إلا بعد فَهم المراد منها منهم، ولا يكون ذلك إلا بسؤال أهل الصناعة أنفسهم، أو بقتل صناعتهم فَهمًا واطلاعًا؛ حتى يكون المطَّلِع عليها في فهمه لها كفَهم أهلها، وبغير هذا لا يَحِقُّ الاعتراض عليهم ولا على غيرهم من أصحاب الصناعات في اصطلاحاتهم الخاصة، لأن من قواعد النظر المقرَّرة عند العلماء: الاعتراض لا يكون إلا بعد فَهم حقيقة المراد. قال اللَّبْلي اللغوي (ت٦٩١هـ) في «فهرسته» (ص٨٣): **وما يَنبَغِي لأحدٍ أن يَتكلَّم في مذهب أحدٍ حتى يَقرأ عليهم، ويُفسَّر له كلامُهم، فالعلوم غوامض لا يَنبَغِي لأحدٍ أن يتجاسر عليها بعَقْله**. انتهى.

إلا أن مصطلح الأبدال خاصَّةً قد ورَد في كلام السَّلَف، قال شيخ الإسلام في «**منهاج السنة النبوية**» (١/ ٩٣، ٩٤): فجميع هذه الألفاظ؛ لفظ الغوث، والقطب، والأوتاد، والنجباء وغيرها لم يَنقُل أحد عن النبي ﷺ بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها، ولا أصحابه، ولكن لفظ الأبدال تكلَّم به بعض السَّلَف. انتهى.

وقد ورَد لفظ الأبدال في كلام الإمام أحمد رضي الله عنه، فقد روَى الدارقطني في «**العلل**» (٦/ ٢٩) ☜

النومِ وأنَّ جماعةً مُكَتَّفِين، في أَعْناقِهم الأَغْلالُ، لو طُرِحَتْ إِبرَةٌ لَمَا سقَطتْ إلَّا على رأسِ رَجُلٍ منهم؛ لِشِدَّةِ اكتنافهم، فقلتُ: مَن هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء أصحابُ الحديثِ الذين كتبُوا الحديثَ ولم يَعمَلُوا به. ولم أَرَ في القيامةِ قومًا أَسوَأَ حالًا بعد المشركين من هؤلاء السَّلَاطِين[1][2].

[طلب العلم أفضل الأعمال]

وبه إلى ابن الجَوْزِي: سمِعتُ علي بن أحمد يقول: سمِعتُ هَنَّاد بن إبراهيم يقول: سمِعتُ أبا نصر البخاري يقول: سمِعتُ سَهْل بن عثمان يقول: سمِعتُ مَحْمُويَه بن محمد يقول: سمِعتُ محمد بن داود الأَبِيْوَرْدِي يقول: سمِعت عَبْدان يقول:

سمِعتُ ابن المبارك يقول: لو نادَى مُنَادٍ مِن السماءِ أَنْ يا عبد الله بن المبارك لَمْ يَبْقَ / مِن أَجَلِك إلَّا يومُك هذا، فاعمَلْ ما شئتَ. لَمْ أَعمَلْ إلَّا في طلبِ العِلمِ[3]. [١٤/ ظ]

يُشِير إلى أنَّ طلبَ العِلم أَفْضلُ الأعمال.

بسنده إلى الإمام أحمد أنه قال: كان ببغداد رجل من الأبدال؛ وهو أبو إسحاق النيسابوري. يريد: إبراهيم بن هانئ. انتهى. وراجع: «**سؤالات السلمي للدارقطني**» (ص١١٢)، و«**الآداب الشرعية**» لابن مفلح (٢/ ٢٢٦).

ولهذا لا يُمنَع من التكلُّم بالألفاظ والمصطلحات التي لم يَتكلَّم بها السلف، لمجرَّد أن السلف لم يَتكلَّموا بها، فالعبرة بالمعاني لا بالألفاظ والمباني!

(١) كأنه يريد السلاطين الظَّلَمَة الفَسَقَة المُضيِّعِين لحقوق الله في رعيَّتهم وأنفُسِهم.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٥/ و)، (ق٢٦/ ظ)، الحديث التاسع والستون.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «**المسلسلات**» (ق٢٦/ ظ)، الحديث الحادي والسبعون.

قرأتُ على ابن الشَّرِيفة، أَخبرَكَ ابنُ البالِسِي، أخبرنا ابن المُحِب.

[ح](١) وأخبرني جماعة من شيوخنا إجازةً عن ابن المُحِب، أخبرنا عيسى المُطَعِّم، أخبرنا جعفر بن علي، حدَّثنا القاضي أبو محمد الدِّيباجِي، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الجارُود، أخبرنا أبو علي الصَّيْمَرِي، حدَّثني أبو الفرج محمد بن الحسن، حدَّثني عمِّي أحمد، حدَّثني أحمد بن غالب، عن محمد ابن هارون، عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة،

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعلَّم مسألةً واحِدةً من العِلمِ يُرِيدُ بها النَّجَاة من النارِ، فتَح اللَّهُ عليه أبوابَ الجَنَّةِ، وكتَب له بكُلِّ حرفٍ ثوابَ نَبِيٍّ من الأنبياءِ، وقلَّده يومَ القيامةِ بقِلَادَةٍ من نورٍ؛ فيَتَعجَّبُ منه الأَوَّلُون والآخِرُون، ويَدخُلُ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ، / ومَن ترَك أَربَعِين حديثًا يَنتَفِعُ هو وغيرُه وجَب له الجَنَّةُ. ومَن مات وخلَّف أَربَعِين حديثًا سُمِّي في السماواتِ عالِمًا**»(٢). [١٥/و]

---

(١) زيادة ليست في الأصل، لبيان أن ما بعدها تحويل من المصنِّف لسنده.

(٢) لم أقف على هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر. وفيه عيسى المطعم، قال عنه الذهبي في «**معجم الشيوخ الكبير**» (٢/ ٨٥): رجل جيد في نفسه عاميٌّ بطيء الفهم، لا يقرأ ولا يكتب. وقال ابن حجر في «**الدرر الكامنة**» (٤/ ٢٤٠): تفرَّد وروَى الكثير.

ويكاد يَنطبِق على هذا الحديث ما قاله ابن القيم في «**المنار المنيف**» (ص٥٠): والأحاديث الموضوعة عليها ظُلمة ورَكاكة ومُجازفات باردة، تُنادِي على وضْعها واختلاقها على رسول الله ﷺ مثل حديث: «**مَنْ صَلَّى الضُّحَى كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ نَبِيًّا**». وكأن هذا الكذاب الخبيث لم يَعلم أن غير النبي لو صلَّى عُمْر نوح عليه السلام لم يُعطَ ثواب نبي واحد. انتهى.

إلا أن قوله: «**ومَن ترَك أَربَعِين حديثًا يَنتَفِعُ هو وغيرُه وجَب له الجَنَّةُ. ومَن مات وخلَّف أَربَعِين حديثًا سُمِّي في السَّماواتِ عالِمًا**». قد رُوِي عن جَمْع من الصحابة مرفوعًا بألفاظ ☜

تَمَّ والحمدُ لله وَحْدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصَحْبه وسلَّمَ.

وفَرَغَ منه واضِعُه يوسفُ بن حسن بن عبد الهادي يومَ الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول سنةَ تسع وثمانين وثمانِ مئة بمنزله بالسَّهْم الأعلى مِن صالحية دمشق.

والحمدُ لله وَحْدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصَحْبه وسلَّمَ(١).

مختلفة متقاربة في المعنى، وقد رواه المصنِّف هنا من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديثه أخرجه ابن عساكر في «**معجم الشيوخ**» (٣١٦، ٧١٥)، والسمعاني كما في «**المنتخب من معجم شيوخه**» (ص٤٧٨)، والبكري في «**الأربعين**» (ص٤١).

وعلى كثرة رواياته وتعدد طرقه إلا أنه ضعيف، ليس فيها طريق تَسلَم من علة قادحة، ولهذا قال عنها الدارقطني في «**العلل**» (٦/ ٣٣): وكُلها ضِعاف، ولا يَثبُت منها شيء.

وقد قال المصنِّف (ابن المبرد) في كتابه «**التخريج الصغير والتحبير الكبير**» (ص١٦١): حديث: «**مَنْ حَفِظَ على أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا**» قال النووي: طرقُه كلها ضعيفة.

وقد أورد ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١١١:١٢٢) كلَّ هذه الطُرق وبيَّن ضعْفها، وأنه لا يثبت منها شيء، ثُمَّ قال: وقد بنَى على هذا الحديث الذي بيَّنا عِلله جماعةٌ من العلماء؛ فصنَّف كلٌّ منهم أربعين حديثًا؛ منهم مَن ذكَر فيها الأصول، ومنهم مَن قصر على الفروع، ومنهم مَن أورَد فيها الرقائق، ومنهم مَن جمَع بين الكل...، وأكثرهم لا يَعرِف علل الحديث...، **ومنهم مَن تسامَح بعد العِلم لحثٍّ على خير**. انتهى.

قلتُ: تأمَّل قوله: **ومنهم مَن تسامَح بعد العِلم لحثٍّ على خير**. إذ يؤخذ منه التسامُح في إيراد الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال عند جماعة من العلماء، ويؤخذ منه عدم التسرُّع في تخطئة العلماء ونسبتهم إلى عدم العلم، وضرورة معرفة حقيقة مرادهم. والله أعلم.

(١) انتهيتُ من تحقيقه والتعليق عليه مع أذان عصر يوم الأربعاء، التاسع والعشرين من شهر صفر، سنة أربعين وأربع مئة بعد الألف من هجرة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وكان هذا بمكتبي بمنزلي متَّعنِي الله به ورزقني خيرًا منه في عافية. وكتَب المقصِّر في حقِّ ربِّه القدير: أحمد فتحي البشير. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ملحق

فيه السماعات الواردة على الأصل الخطي

سماع بخط المؤلِّف على صفحة العنوان

«الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم.

سَمِعَ هذا الكتابَ من لفظي ولدي عبدُ الهادي، وأخوه عبد الله أبو بكر، وأُمُّه جوهرة بنت عبد الله، وأُمُّ ولدي بُلْبُل بنت عبد الله أمُّ حسن، ومولاتي حُلوةُ بنت عبد الله. وسَمِعَ مِن أَوَّلِه إلى لُبْس الخِرقة ولدي حسنُ في آخِر الخامسة ثُمَّ نام.

وصَحَّ ذلك وثبَت ليلةَ الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول سَنة تسع وثمانين وثمان مئة.

وأَجَزتُ لهم أن يَروُوه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه بشرطه».

وكتب

يوسف بن عبد الهادي



السماعات المثبتة آخر النسخة الخطية

١- سماع بخط المصنِّف:

«الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم.

قَرَأ عليَّ هذا الجزءَ الولد تقيُّ الدين أبو بكر بن عمر بن محمد المعروف بابن الفرقباني في مجالس آخِرها يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وثمان مئة، وسَمِعَ بعضَه سيدي الولد شمس الدين محمد ابن سيدنا القاضي علاء الدين بن مفلح.

وأَجَزتُ لهُما أن يَروِياه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه بشرطه».

وكتب

يوسف بن عبد الهادي

٢- سماع بخط تلميذ المصنِّف أبي القاسم الوادي آشي:

«[١٥/ ظ] الحمدُ لله وكفَى، وسلامٌ على عِباده الذين اصطفى، وبعدُ:

فقد سمِعتُ من لفظِ سيدنا ومولانا وشيخنا ومفيدنا الشيخ الإمام العالِم العلامة البحر الفهامة المسنِد المحدِّث المكثِر ذي التصانيف العديدة والتآليف المفيدة جمالِ الدين أبي المحاسن يوسف بن عبد الهادي الحنبلي الصالحي، أعاد الله علينا من بركاته وبركة علومه في الدُّنيا والآخرة= كتابَه هذا، وترصيفُه: «**تهذيب النفس للعلم وبالعلم**» مِن أَوَّلِه إلى آخِره في ليلة الخميس لِستٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر الذي في سنة ثلاث وتسعين وثمان

مئة، وذلك بمنزله في صالحية دمشق المحروسة.

وأجاز المُسمِع نفَع الله به لِمَن سمِعه أن يَروِيه عنه وجميعَ ما يَجُوز له وعنه روايتُه بشرطه المعتبَر عند أهل الفن والأثر.

قال ذلك وزَبَرَه بيده الفانية أبو القاسم بن علي بن محمد السبتي الأندلسي الوادي آشي المالكي -وفَّقه الله تعالى- مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا مُحَسْبِلًا مُحَوْقِلًا مُعَظِّمًا مُبَجِّلًا».

٣- سماع بخط المصنِّف:

«[١٦/و] الحمدُ لله، قرَأ عليَّ هذا الكتابَ سيدي بدرُ الدين حسن بن أحمد بن محمد اللوبياني، نفَعه الله بالعِلم وزيَّنه بالحِلم في مجلس من يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وثمان مئة، فسمِع غالبَه ولدي عبدُ الهادي، وسمِع بعضَه المعلم محمد بن حسن بن الطعمية، وولدي عبدُ الله أبو بكر وأخوه بدرُ الدين حسن.

وأَجَزتُ لهم أن يَروُوه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه بشرطه».

وكتب

يوسف بن عبد الهادي

٤- سماع بخط تلميذ المصنِّف ابن طولون الحنفي:

«[١٦/ظ] الحمدُ لله، قرَأتُ هذا الكتابَ على مؤلِّفه شيخِنا الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن القاضي بدر الدين حسن بن

الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادي العُمَرِي العَدَوِي القُرَشِي الحنبلي، أَدامَه الله للأنام، ونفَع به الخاص والعام.

فسمِعه البرهان أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الوهاب بن محمد الخطيب المَرْدَاوِي الحنبلي، والشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن حسين الحَوْرَانِي الفَرَّاء الشافعي، والمُوَفَّق أبو الخير عبد الله بن عبد الله بن زيد الجُرَاعي الحنبلي، وعمادُ الدين إسماعيل بن محمد بن حسين الهَكَّاري الحَمَوِي، وتقيُّ الدين أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر بن الحَبَّال.

وغالِبَه الشيخُ عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب المصري الأبياري الحنبلي، وإبراهيمُ بن محمد بن إبراهيم البقاعي، وعبدُ القادر بن علي بن محمد بن الأعمش السقباوي.

وصَحَّ ذلك وثبَت في يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة ٩٠٠ بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بصالحية دمشق، وأجاز لنا أن نَروِيه عنه وما له روايتُه بشرطه عند أهله، والحمدُ لله وَحْدَه، صلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم».

وكتب
محمد بن طولون الحنفي
لطف الله به

«صُحِّحَ ذلك، وأَجَزتُ لهم أن يَروُوه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه».

وكتب
يوسف بن عبد الهادي

٥- سماع آخَر بخط ابن طولون:

«الحمدُ لله، ثُمَّ قرَأتُه ثانِيًا عليه أيضا، أدام الله بَهْجَتَه، وحرَس للأنام مُهْجَتَه، فسمِعه الشيخُ شهاب الدين أحمد بن طوق الشافعي نفَع الله به، وعلاءُ الدين علي بن عبد الكريم بن علي البلداني الشهير بابن سُوَيْد، والزَّيْنُ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس القابوني الكُتُبي الحنفي، وولدُ المُسمِع علاءُ الدين علي، والتاجُ عبد القادر بن المَجْد الذهبي.

وغالبَه الشمسُ محمد بن التقي أبي بكر بن الصارم الشافعي وأخوه علاء الدين علي، وناصرُ الدين محمد بن البدر حسن بن رَمَّوه، وأحمدُ بن المُفِيدي وغيرُهم.

وصَحَّ ذلك وثبَت في يوم الجمعة بعد الصلاة سادس عشر من شهر ذي القعدة سَنة ثلاث وتسع مئة، بالجامع الأموي تحت قُبَّة النِّسْر بدمشق المحروسة، وأجاز لنا أن نَروِيه عنه وما له وعنه روايتُه بشرطه عند أهله بسؤالي.

الحمدُ لله وَحْدَه، وصلَّى الله على مَن لا نبيَّ بَعْدَه وآلِه وصحبه وتابِعِيه وحِزبِه».

وكتب

محمد بن طولون الحنفي

عفا الله عنهما

٦- سماع بخط المصنِّف قبل موته بسَنة:

«[١٧/ و] الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم.

سمِعه من لفظي الولدُ محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي البغدادي، والولد محيي[١] عبد الرحمن بن إبراهيم الملاح المَرْدَاوِي، والزَّيْنُ عمر بن يحيى بن محرز الأندلسي، والولدُ أحمد بن غرس الدين خليل الخطيب، والزَّيْن عبد اللطيف بن أحمد بن عيسى السرجي، والولدُ جبر بن سلمان بن جبر الحَوْراني، وخليل بن إبراهيم بن شعبان الكفروري، والشيخُ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الجَمَّاعِيلي، والشيخُ شهاب الدين أحمد بن علي ابن عمر الجَمَّاعِيلي. وأَوَّلَه الشيخُ أبو بكر بن عمر الزلباني.

وأَجَزتُ لهم أن يَروُوه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه بشرطه، وصَحَّ ذلك وثبَت نهار السبت سادس عشر شهر الحجة[٢] الحرام من شهور سَنة ثمان وتسع مئة».

وكتب

يوسف بن عبد الهادي

٧- سماع بخط المصنِّف قبل موته بـ(١٣) يومًا:

«[١٧/ظ] الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم.

أَنهَاه قراءةً الولدُ محيي الدين عبد الرحمن بن الشيخ برهان الدين إبراهيم

(١) كذا في الأصل، والصواب: محيي الدين. فلعل لفظة (الدين) سقطت سهوًا أو اختصارًا؛ لأن المصنِّف قد ذكَره في السماع التالي على الصواب.

(٢) كذا في الأصل. وقد تحذف (ذو) اختصارًا، وهو مستعمل في عبارات المصنِّفين المتأخِّرين.

الملاح في مجلس يوم الأربعاء ثالث شهر الله المحرم من شهور سنة تسع وتسع مئة بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر.

فسمِعه الشيخُ عبد الواحد بن عمر النجار، والشيخ محمد بن أحمد الجُرَاعي. ونِصفَه الأخيرَ الشيخُ زين الدين عبد اللطيف بن أحمد السرجي. وجميعَه الولدُ أحمد بن الغرس خليل الخطيب، والولد جبر بن سلمان بن جبر الحَوْراني، والشيخُ زين الدين عمر بن أحمد البيطار المؤذن، وشمسُ الدين محمد بن عمر الصَّلْخَدِي، والشيخُ علي بن محمد بن أحمد الجُرَاعي. وبعضَه الولدُ شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن البهاء البغدادي. وغالبَه الشيخ جمال الدين العَيْثاوِي البَعْلِي.

وأَجَزتُ لهم أن يَروُوه عني وجميعَ ما يَجُوز لي وعني روايتُه بشرطه».

وكتب

يوسف بن عبد الهادي

وهذه إجازة[1] والدي لطف الله به

عبد الرحمن[2]



(١) رُسمت في الأصل بالتاء المبسوطة هكذا: «إجازت».

(٢) عبد الرحمن هذا هو ابن المصنِّف، وقد كتَب هذا بخطِّه بعد السماع المذكور بخط والده. وقد ذكَره المصنِّف ضمن أولاده في الرسالة التي خصصها في ذِكر أسمائهم وأسماء أمهاتهم، فقال في هذه الرسالة (ق٨٣/ و): «حرف العين: عبد الرحمن، أمُّه فاطمة».

الكشافات

كشاف

أهم المصادر والمراجع(*)

أولًا: المطبوعات:

١- أحكام الحمَّام، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: مصطفى بن محمد صلاح الدين أبي جنة الحنبلي، مركز الملك فيصل، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
٢- أخلاق العلماء، للآجري (المتوفى: ٣٦٠هـ)، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.
٣- إرشاد الحائر إلى علم الكبائر، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.
٥- إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(*) اكتفينا بِذِكر المصادر والمراجع التي كثُر رجوعنا إليها ولم نَرُم الاستقصاء؛ لأننا لو استقصينا ذِكر كلِّ ما رجَعنا إليه، لقَرُب حَجم هذا الكشاف من حَجم المتن المحقَّق!

٦- بدء العلقة بلُبس الخِرقة، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: د. إحسان ذنون الثامري، ود. محمد عبد الله القدحات، ضمن رسائل من التراث الصوفي في لبس الخرقة، دار الرازي، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٧- البعث والنشور، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٩- التخريج الصغير والتحبير الكبير، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٠- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١١- التشوُّف في إثبات ارتداء شيخ الإسلام ابن تيمية خرقة التصوف-عرض وتوجيه-، لمحمود أبو حيان، بحث غير منشور.

١٢- تهذيب النفس للعلم وبالعلم، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، حققه وعلق عليه: أديب الكمداني، طبعة خاصة بالمحقِّق.

١٣- ثمار المقاصد في ذكر المساجد، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: محمد أسعد طلس، المعهد الافرنسي، دمشق، بيروت، ١٩٤٣م.

١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥- جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر، لابن المبرد (المتوفى:

٩٠٩هـ)، مطبوع مع كتابين آخرين، قرأها ووثقها وعلق عليها: محمد بن عبد الحميد العويطي، دار الذخائر، القاهرة، خلف الجامع الأزهر، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

١٦- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم (المتوفى: ٤٣٠هـ)، دار السعادة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١٨- الدُّر النقي في شرح ألفاظ الخِرقي، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: د. رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع، السعودية، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٩- زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور: عبد الله بن حسين الموجان، مركز الكون، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٠- الزهد الكبير، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

٢١- الزهد، لأحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٢- الزهد، لهَنَّاد (المتوفى: ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦م.

٢٣- الزهد، لوكيع بن الجراح (المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج

أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٤- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لابن حميد النجدي (المتوفى: ١٢٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: بكر بن عبد الله أبو زيد، ود. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٥- سنن ابن ماجه (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٦- سنن أبي داود (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وزميله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٧- سنن الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرَين، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٨- السنن الكبرى، للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٩- سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، البشائر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣١- شرح السنة، للبغوي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٢- شعب الإيمان، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣٣- صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٣٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٥- طبقات الصوفية، للسلمي، (المتوفى: ٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٦- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، عبد القادر الجيلاني (المتوفى: ٥٦١هـ)، قدَّم لها: محمد خالد عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٧- فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني (المتوفى:٥٦١هـ)، طبعة حجرية.

٣٨- الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، لابن طولون (المتوفى: ٩٥٣هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٩- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٠- الفهرس الوصفي للنسخ الخطية لمؤلَّفات يوسف بن عبد الهادي (ابن المبرد) المحفوظة بدار الكتب المصرية، لصالح بن محمد بن عبد الفتاح، دار غراس، الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ.

٤١- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع وترتيب: الحاج إسماعيل بن السيد محمد، مكتبة ومطبعة مصطفة البابي الحلبي، (د/ ت)، (د/ ط).

٤٢- القُصَّاص والمُذكِّرين، لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٣- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، لابن طولون (المتوفى: ٩٥٣هـ)، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د/ ت).

٤٤- القواعد الكلية والضوابط الفقهية، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٥- كتاب الأربعين حديثًا، للبكري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٦- كشف الغِطا عن محض الخَطا، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، مطبوع مع كتابين آخرين، قرأها ووثقها وعلق عليها: محمد بن عبد الحميد العويطي، دار الذخائر، القاهرة، خلف الجامع الأزهر، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

٤٧- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٨- متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، لابن

طولون (المتوفى: ٩٥٣هـ)، وابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، انتقاء: ابن الملّا الحصكفي (المتوفى: ١٠٠٣هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٩- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

٥٠- مختصر طبقات الحنابلة، للشطي (المتوفى: ١٣٧٩هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥١- المذهب الحنبلي والتصوُّف، جورج مقدسي، ترجمة: أحمد محمود محمد إبراهيم، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد ١، خريف عام ٢٠١٦م.

٥٢- مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٤- مسند أبي داود الطيالسي، (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد ابن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام مسلم (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧- مشيخة ابن البخاري، جمال الدين ابن الظاهري الحنفي (المتوفى: ٦٩٦هـ)، تحقيق: د. عوض عتقي سعد الحازمي، دار عالم الفؤاد، مكة، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٨- معجم الشيوخ، لابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، حققته: الدكتورة وفاء تقي الدين، دار البشائر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٩- معجم مصنَّفات الحنابلة، للأستاذ الدكتور/ عبد الله الطريقي، طبعة خاصة بالمؤلف، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦٠- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لابن طولون (المتوفى: ٩٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦١- مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٢- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٦٣- مناقب الشافعي، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٦٤- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٥- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، لأبي سعد السمعاني (المتوفى:

٥٦٢هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٦- الموطأ، للإمام مالك (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٦٧- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، لمحمد بن كمال الدين ابن الغزي (المتوفى: ١٢١٤هـ)، تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٦٨- النهاية في اتصال الرواية، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٦٩- الهم والحزن، لابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

ثانيًا: المخطوطات:

٧٠- رسالة لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ) في أسماء بعض شيوخه بالإجازة، ضمن مجموع بدار الكتب المصرية، تحت رقم حفظ (٣٥٢/ حديث تيمور).

٧١- رسالة لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ) في ذِكر أسماء أولاده وأسماء أمهاتهم، مخطوط بالمكتبة الظاهرية ضمن مجموع تحت رقم ٣٢١٢ت.

٧٢- رسالة لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ) في ذِكر شيوخه وما أخذه عنهم، مخطوط ضمن مجموع بمكتبة الدولة، برلين، تحت رقم ٦٧٦٨.

٧٣- العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، للنُّعيمي (المتوفى: ٩٢٧هـ)، مخطوط بمكتبة لايبزج، ألمانيا تحت رقم ٨٤٧/ ١.

٧٤- فهرست الكتب، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، مخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٣١٩٠.

٧٥- فوائد أبي علي بن فضالة، عبد الرحمن بن حمد بن فضالة (المتوفى: ٤٢٠هـ)، مخطوط بالمكتبة الظاهرية ضمن مجموع تحت رقم ٣٧٦٣.

٧٦- مسلسلات ابن الجوزي، لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، مخطوط بالمكتبة الظاهرية ضمن مجموع تحت رقم ٣٧٧٤ت١.

٧٧- المشيخة البغدادية، لأبي الطاهر السلفي (المتوفى: ٥٧٦هـ)، مخطوط بمكتبة الإسكوريال تحت رقم ١٧٨٣.

٧٨- هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن، لابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، مخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٣٤٥.



كشاف الأحاديث

كشاف الآثار والأقوال



كشاف

الأعلام المترجَم لهم الواردة أسماؤهم في النص المحقَّق

كشاف الفوائد

أولًا: الفوائد الواردة في الدراسة

ثانيًا: الفوائد الواردة في المتن المحقَّق والتعليقات عليه

- حديث مرفوع أورده ابن المبرد في فضل العلم والعلماء لم أجده في المصادر التي تحت يدي، لكن فيه علامة من علامات الوضع ١٧٠، هامش ٢

- فائدة إيراد ابن المبرد الأحاديث والآثار التي يذكُرها بإسناده، فلولا ذِكره إسناد هذا الحديث السابق ما استطعتُ الوقوف على ما يُمكِن أن يكون السبب في وضعه ١٧٠، هامش ٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تمَّ بحمدِ اللهِ

صدر حديثاً

أحكام القرآن

للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين الخسروجردي البيهقي

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ رحمه الله

ميزه وجمعه من كلام

الإمام فقيه الملة أبي عبد الله المطلبي محمد بن إدريس الشافعي

المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رحمه الله

حققه وعلق عليه

أبو عاصم الشوامي

دار الذخائر

إحياء لتراث أمة



كتاب بر الوالدين

للإمام الحافظ

أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري

١٩٤هـ - ٢٥٦هـ

رواية أبي بكر محمد بن أحمد بن دلويه الدقاق عنه

رواية أبي يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي عنه

ومُلحق به

الأحاديث التي رواها الإمام البخاري في بر الوالدين خارج جزئه

طبعة مصححة محررة مضبوطة

على نسخة الحافظ السيد عبد الحي الكتاني

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد العزيز بن حلمي مكي

دار الذخائر

إحياء التراث أمة

من إصداراتنا

بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع رضي الله عنها من الفوائد

تأليف

أبي الفضل عياض بن موسى السبتي اليحصبي

ت: ٥٤٤هـ

تحقيق

أبي داود أيمن بن حامد بن نصير الدسوقي

دار الذخائر

إحياء لتراث أمة

من إصداراتنا



تأليف

زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي

(ت ٨٠٦هـ)

قرأه وعلق عليه

أحمد عبد الستار

يطبع لأول مرة

دار الذخائر

إحياء لتراث أمة

هذا الكتاب

لكلٍّ من المذاهب الثلاثة (الحنفيَّة والمالكيَّة والشافعيَّة) كُتُب مُفردة في آداب العالِم والمتعلِّم، يقرؤها أتباع هذه المذاهب ويتدارسونها فيما بينهم، ولم نرَ للحنابلة كتابًا مُفردًا في هذا -في حدود اطِّلاعنا-، وبهذا يكون كتاب «تهذيب النَّفس للعِلم وبالعِلم» لابن المِبرَد أول كتاب للسَّادة الحنابلة مُفرَد في آداب المتعلِّم يقع -إن شاء الله- في أيدي طلبة العِلم عامَّة، والحنابلة منهم خاصَّة.

وقد اعتنى فيه ابن المبرَد ببيان الآداب التي فيها تهذيب نفس المتعلِّم حتى تكون نفسُه محَلًّا صالحًا للعِلم، وتخليتُها من الآفات المانعة من الانتفاع به وتحقيق الغرض منه، ومع هذا لم يفته باقي الآداب المتعلِّقة بطالب العِلم؛ من الآداب المتعلِّقة بنفسه وشيخه، بالإضافة إلى تنبيهه على أهمِّ العلوم التي ينبغي له العناية بها؛ فكتابُه هذا على الرغم من كونه مختصرًا إلَّا أنه يكاد أن يكون قد أحاط بآداب المتعلِّم كلِّها.



33 - شارع الإمام محمد عبده - خلف جامع الأزهر.
+20 122 027 56 29 +20 106 090 88 45 +20 100 854 31 60
dar.alzakhair@gmail.com
دار الذخائر